مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السادسة عشرة : العدد الثاني والستون - رجب ١٤٢٩ هـ - يوليو (تموز) ٢٠٠٨ م

صورة من مخطوط ترجمة القرآن الكريم إلى الفارسية،
من مكتبة كلية دار العلوم بديوبند - الهند

A picture from Holly Quran manuscript translated to Persian language
From Library of Science Faculty in Deubnd - India

مقالات

علم الكلام بين التقليد وضرورة التجديد

د. محمد محمد محمد عيسى
كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...

من سنة الله في كونه أن الحياة متحركة ومتطورة، فهي وليدة الشباب مستمرة النمو، تنتقل من طور إلى طور. ومن لون إلى لون لا تعرف الركود أو الجمود. ولا تصاب بالهرم والتعطل، ولا يسايرها في رحلتها الطويلة إلا دين حافل بالحركة والنشاط، لا يتخلف عن ركب الحياة، ولا يعجز عن مسايرته ومواكبته ولا تقصر عنه خطواته ولا تنفر حيويته ونشاطه.

وليس هذا الدين إلا الإسلام، فهو دين حي ورسالة خالدة. إنه حي كالحياة نفسها. وخالد كخلود الحقائق الطبيعية ونواميس الحياة.

إن هذا الدين - وإن كان مؤسساً على عقائد ثابتة، وحقائق خالدة - زاخر بالحياة فهو حافل بالنشاط، والصلاحية الدائمة للتطبيق. له من الحيوية معين لا ينضب ومادة لا تنفد. ومن ثم كان من خصائصه دون سواه من الأديان أن تشريعاته تستجيب لهذه السنة من سنن الله في كونه. سنة التنوع في المكان، والتغير في الزمان. سنة التجديد والتطوير دون أن يؤثر ذلك على الهوية الثقافية والحضارية التي تتميز بها الأمة الإسلامية. بل إنه يثريها ويحميها. ويؤكد ذلك شهادة هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأنها بحق خير أمة أخرجت للناس.

ولقد أدت الظروف التاريخية والاجتماعية التي عاشها المجتمع الإسلامي إلى نشأة مجموعة من العلوم التي قصد بها خدمة النص (القرآن والسنة النبوية المطهرة) بطريق مباشر أو غير مباشر. ويأتي علم الكلام في مقدمة هذه العلوم. وربما كان

أسبق في تاريخ نشأته من كثير منها، فيرتبط في نشأته بموقف تاريخي معين وظروف تاريخية عاشتها الأمة في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

كما ضم المجتمع المسلم طوائف وديانات كالفرس واليهود والنصارى وما أثاروه من تشكيك، ثم حدث أن عرف المسلمون الكتب المترجمة بما حوته من مصطلحات وتشكيكات تتصل بمسائل المقيدة. كل ذلك أوجد جواً حديداً واقتضى بياناً وتوضيحاً لبعض المسائل التي أثيرت.

وحطا علم الكلام خطوات مباركة في أداء رسالته التي من أجلها أوجد وتميز بين العلوم الإسلامية.

فقد نشأ ناهضاً ثم تكونت مدارسه وانتشرت ثم اختلطت الفلسفة به فأحالته شيئاً آخر بل أسلمته إلى جمود وتقوقع. ولم يقو أصحابه على إبداع فكر جديد يواجه العصر ومستجداته، بل ظلوا في إطار البحوث التقليدية وبنفس النمط التي أثيرت به في كتب الأسلاف، التي لم تستطع مواجهة تحديات الحضارة الحديثة، وما تمرزه من فلسفات وأيدلوجيات تهاجم الإسلام، وتحاول جاهدة أن توقف مسيرته الحضارية. فكان لابد من إنهاض هذا العلم بتجديده، وبخاصة أنه في مرحلة الجمود هذه ظهرت حركات إصلاحية كانت بداية الهزة العنيفة التي أصابت هذا العلم لإيقاظه وإنهاضه.

وفي هذا السياق وددت أن أشارك ببحث متواضع في مسيرة إحياء التراث الديني الذي يمثل خطوة في سبيل تحقيق خصائص الرسالة الإسلامية فأسميته :

«علم الكلام بين التقليد وضرورة التجديد»

ويشتمل على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة -

المبحث الأول علم الكلام (مفهومه - نشأته - تطوره).

المبحث الثاني : علم الكلام بين المؤيدين والمعارضين.

المبحث الثالث : مفهوم التجديد ومبرراته لعلم الكلام.

المبحث الرابع : منطلقات ومعالم التجديد لعلم الكلام المعاصر.

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

علم الكلام

مفهومه - نشأته - تطوره

أولا : تعريفه :

لعلماء الإسلام في تعريف علم الكلام عبارات متباينة، كثيراً ما تدل على اختلاف وجهات نظرهم إلى هذا العلم، وسأعرض فيما يلي أهم هذه التعريفات بإيجاز:

تعريف الإيجي : عرّفه بقوله بأنه «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد، ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد - ﷺ - فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام»[1].

وعرفه ابن خلدون بقوله. «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة»[2].

وعرفه الفارابي بقوله : «علم الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»[3].

ويعرفه الشيخ / محمد عبده بقوله: «علم الكلام هو علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن تثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم»[1].

ويتضح من هذه التعريفات أن المتكلم يبدأ من مسلمات عقائدية مقررة وضعها الشارع وهو لا يقدح في صدقها بل يؤمن بها إيماناً كاملاً، وينحصر دوره في الدفاع عنها بالأدلة العقلية والرد على مخالفيها ودحض شبهاتهم حولها»[2].

وقد لخص أحمد أمين الآراء المختلفة التي وردت في سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم فقال: «سمي هذا العلم الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية والرد على المخالفين بعلم الكلام، وسمي المشتغلون به بالمتكلمين، وقد اختلفوا في سبب التسمية، فقال بعضهم: إنه سمي علم الكلام؛ لأن أهم مسألة وقع فيها الخلاف في العصور الأولى مسألة كلام الله تعالى وخلق القرآن، فسمي العلم كله بأهم مسألة فيه، أو لأن مبناه كلام صرف في المناظرات على العقائد وليس يرجع إلى عمل، أو لأنهم تكلموا حيث كان السلف يسكت عما تكلموا فيه، أو لأنه في طرق استدلاله على أصول الدين أشبه بالمنطق في تبيينه مسالك الحجة في الفلسفة، فوضع الأول اسم مرادف للثاني، فسمي كلاماً مقابلة لكلمة منطق»[3].

ويذهب الشهرستاني إلى أن المعتزلة أول من أطلق هذا الاسم على هذا العلم فيقول: «ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام»[4].

وإن الباحث في أسماء علم الكلام يجد أن له أسماء أخرى غير اسم علم الكلام منها: علم أصول الدين، وعلم النظر والاستدلال، وعلم التوحيد والصفات، والفقه الأكبر، ويسمى عند البعض بأنه علم العقيدة، ولكنه اشتهر بعلم الكلام والتوحيد.

وليس الغرض من هذا العلم هو مجرد الإيمان، ولكن بالإضافة إلى هذا التمكين من الأدلة التي تحمي العقيدة من الريغ، وتدفع عنها شبهات الملحدين والمارقين، فهو علم يثبت العقيدة ويذود عنها بالأدلة السمعية والبراهين العقلية.

نشأته وتطوره:

هل نشأة علم الكلام إسلامية خالصة، أو أن لهذه النشأة أسباباً مختلفة بعضها إسلامي، وبعضها الآخر غير إسلامي؟

«إن كل الذين تناولوا تاريخ هذا العلم بالبحث والدراسة يتفقون بوجه عام على أن نشأة الكلام في الإسلام لم تكن نتيجة سبب بعينه، وإنما هي نتيجة أسباب متضامنة، وعوامل متضافرة اقتضت وجوده على الصورة التي نراه عليها في تاريخ الفكر الإسلامي»[5].

وقبل الحديث عن أسباب نشأة علم الكلام أود أن ألفت النظر إلى أن هذا العلم لم يبدأ مع ظهور الإسلام، لأن نور النبوة قد سطع على المؤمنين وأزال ظلمات الشكوك والأوهام، فكان القرآن واضحاً في عرض العقيدة الإسلامية ولم يترك منها شيئاً لعقول الناس، وحاء القرآن الكريم بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ سورة المائدة: الآية ٣.

وإذا كان الإسلام قد أثبت في عقيدته المبادئ

والأسس التي يرتضيها. فإنه قد عارض بها عقائد كانت قائمة، فتار أهلها إلى منافشته ومجادلته، فكان يجيبهم عن شبههم بما يزيلها، ويستثير عواطفهم إلى طبيعتهم وفطرتهم النقية التي فطرهم الله عليها، فإذا كانوا راغبين في الحق أوصلهم بهذا النقاش الهادئ الرفيق إليه.

وإن كان قصدهم التعنت والمماراة بالباطل انصرف عنهم بعد أن يبين لهم الحق وينذرهم عاقبة المماراة بغير حق، ثم لا يمد لهم في حبل الجدل، حرصاً على الحق من أن يمتهن، وعلى ألفة الجماعة من ان تتمزق، وحتى لا يثير عواطف العصبية التي تجعل الناس تنفر من الحق، بدلاً من أن تتقرب إليه وتتعرف عليه، ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجاً، حريصين على الألفة، بعيدين عن دواعي الشقاق والفرقة، وملاحظين لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** سورة الأنعام: الآية ١٥٩، فتلقوا التعاليم الدينية بقبول حسن، وسارعوا إلى تعلمها ومعرفتها، وكلما حد بينهم أمر رجعوا في حقه إلى الله وإلى الرسول -ﷺ- فلم يقع بينهم خلاف يذكر.

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- «ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله -ﷺ- ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض -ﷺ- كلهن في القرآن: يسألونك عن المحيض، ويسألونك عن الشهر الحرام، ويسالونك عن اليتامى..... ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم».

ويقول ابن القيم - «وقد تنازع الصحابة -رضي الله عنهم- في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال».

ويعلل صاحب مفتاح دار السعادة موقف الصحابة هذا فيقول: «إن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا في زمن النبي -ﷺ- على عقيدة واحدة، لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه، وأزال عنهم ظلمة الشكوك والأوهام»، حتى انتقل الرسول -ﷺ- إلى الرفيق الأعلى، واختلفوا فيمن يخلفه على المسلمين خلافاً لم يطل، بل انتهى باستخلاف أبي بكر -رضي الله عنه-.

ولم يكن هذا الخلاف في مبدأ أو عقيدة، وإنما في مسألة فرعية تتعلق بمصلحة عامة من مصالح المسلمين، ومثل هذه الخلافات في المسائل الفرعية لا تورث بغضا ولا عداوة ولا كراهية، ولا تسبب فرقة في العقيدة، ولا بأس بمثل هذه الخلافات ولا ضرر منها، بل لابد وأن يحدث مثلها، وأن نضطر إليها فيما بيننا، أو في محادلة خصومنا، أو أعداء ديننا، دون التمادي أو اللجاج فيها.

وإذا كان قد روي أن هنالك من تحدث في القدر في عصر البعثة، وأن الرسول -ﷺ- قد نهى عن ذلك، كما ورد في سنن الترمذي، محذراً المسلمين من ضرب كتاب الله بعضه ببعض، ومشيراً إلى أن هذا الصنيع أهلك من كان قبلهم، فإن هذه الظاهرة كانت في نطاق محدود، ولعلها كانت مرة واحدة، ومن هنا لم يكن لها تأثير في الاتجاه العام الذي حكم المسلمين في فهم عقيدتهم، والعمل بما جاء به دستورهم الخالد، وهو اتجاه يتمثل في الاهتمام بالأحكام العملية وعدم الخوض فيما لا يجدي من المسائل الكلامية.

روي عن عبد الله بن معاوية الجمحي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «خرج علينا رسول الله -ﷺ- ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم، وإنما هلك من

كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»!

ولقد ظل الأمر كذلك بعد وفاة الرسول -ﷺ- في عهد أبي بكر ثم في عهد عمر، وصدر من خلافة عثمان -رضي الله عنه- حتى ثارت الفتنة وقتل عثمان -رضي الله عنه- مظلوماً، وتفرق المسلمون بعده بين مؤيد لعلي - كرم الله وجهه - ومؤيد لمعاوية -رضي الله عنه- وتدخل السيف ليحسم النزاع بين الطرفين.

وبدأت تظهر الفرق السياسية التي تتحيز فيها كل فرقة إلى جانب، أو تقف موقف الحياد، تبعاً لرأيها السياسي فيمن يستحق الخلافة.

ولما كان الدين في عنفوانه، وكان يصبغ كل شيء في المجتمع بصبغته، فإن كل فرقة حاولت أن تتخذ لموقفها سنداً دينياً، فتصوغه صياغة دينية، وتؤيده بالبراهين الدينية، رغبة في اجتذاب جماهير المسلمين لها.

وهكذا نشأت فرقة الشيعة التي تؤيد حق علي وآله في الخلافة، ونشأت الخوارج التي كانت ترمي علياً ومعاوية ومن قبل التحكيم بينهما بالكفر، وأسسوا مبدأهم في أن مرتكب الكبيرة كافر، وتطرق البحث إلى حقيقة الإيمان والإسلام وما يخرج منهما إلى الكفر.

كما نشأت فرقة أخرى لم تقبل ان تتدخل بالحكم عليهم بالكفر أو عدمه قائلين بإرجاء الأمر وتفويضه لله، وأسسوا على ذلك مبدأهم في أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وبدأ أناس يتعللون بأن كل شيء إنما هو بقدر، وأنه لابد من الإيمان بالقدر خيره وشره، فقام آخرون يواجهون ما تؤدي إليه هذا الطريقة من تثبيط الهمم عن مواجهة الظلم والظلمة، فنادوا بأن القدر لا تأثر له بما يقع على الناس من مظالم، وما يرتكبه الظلمة من آثام، وأنه لابد أن يتحمل كل مسؤول جنايته، وغالوا في ذلك كما غالى خصومهم، وأسسوا مبدأهم القائل بأنه لا قدر وأن الأمر أنف (أي مستأنف).

كل ذلك وتيار الحياة الإسلامي العام يسير كما هو بعلمائه المخلصين، الذين لم يجرفهم تيار من هذه التيارات، والذين كانوا يتصدون لإرشاد الناس وتعليمهم، وكان من أعلامهم الحسن البصري الذي كان يجلس ليعلم الناس في مسجد البصرة أمور دينهم، وما فيه صلاح أحوالهم.

وجاء يوماً رجل يسأل عن رأيه في هؤلاء الذين اختلفوا فيما بينهم قائلاً: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء، وكان تلميذاً في حلقته: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما ذهب إليه، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، ثم انضم إليه بعد ذلك عمرو ابن عبيد فكان في ذلك بداية مذهب المعتزلة.

وظلت الخلافات تكثر وتتشعب، ويحاول كل فريق أن ينتصر لرأيه بالحجج والبراهين، فتظهر مسائل جديدة تحتاج إلى أحكام جديدة وبراهين جديدة.

ثم انتشر الاحتكاك العميق بأرباب الأديان والمذاهب الأخرى من يهودية ونصرانية ووثنية

ومجوسية، واضطر المتكلمون إلى مجاراتهم في أسلوبهم ومناهجهم الجدلية. فتأثروا متأكل وشبهاً جعلتهم في نهاية الأمر يختلفون فيما بينهم، ويبتدعون أقوالاً ومذاهب شتى. ولو سار الأمر سيرته الأولى في مجادلة المخالفين بالتي هي أحسن، مع عدم الاسترسال في هذا الجدال إلا بمقدار ما يظهر الحق ثم الإعراض بعد ذلك قائلين بما ينصح به القرآن الكريم في مثل هذه الأحوال ﴿وإنْ جادلوك فقُل اللهُ أعلمُ بما تعملون ۞ اللهُ يحكُمُ بينكُمْ يوم القيامة فيما كُنْتُمْ فيه تختلفون﴾ سورة الحج الآيتان ٦٨- ٦٩، وقوله، ﴿فإنْ حاجُّوك فقُلْ أسْلمْتُ وجْهي لله ومن اتبعن﴾ سورة آل عمران الآية ٢٠، لما تفرقت الأمة إلى هذا الكم من الفرق الكلامية التي لا تكاد أن تستقر معاً على رأي واحد.

ولقد ظهر بعد ذلك أبو الحسن الأشعري الذي حاول أن يرتق هذا الفتق الواسع ويجبر هذا الشرخ العميق، بالعودة إلى النص كفعل الأوائل، مع إعطاء العقل فرجة يبحث فيها، في حدود النصوص الدينية، ودون ذلك كتب الكلام على مذهب الأشعري، وسميت فرقة الأشاعرة والماتريدية بأهل السنة والجماعة.

وظهر كثير من أئمة الأشاعرة كالقاضي أبي بكر الباقلاني، والأستاذ أبي إسحق الاسفراييني، وأبي بكر بن فورك، وإمام الحرمين عبد الملك بن الجويني وغيرهم

ثم ظهر في الكتب الكلامية - وفي العصور المتأخرة - تأثير المناهج الفلسفية وموضوعاتها، يشاهد ذلك في كتب العقائد المختلفة، كما في كتاب المواقف لعضد الدين الإيجي، والمقاصد لسعد الدين التفتازاني، والعقائد النسفية لابن معين النسفي، وغيرها[١٠].

وأخلص مما تقدم أن أهم عوامل نشأة علم الكلام:

أولا - الخلاف حول فهم بعض ما ورد في القرآن الكريم من تفاصيل العقائد الإيمانية.

ثانيا : الخلافات السياسية والتي كان لها أثر فعال في إثارة مباحث علم الكلام بين المسلمين.

ثالثا : التقاء المسلمين بأصحاب الديانات والحضارات الأخرى.

إن هذه العوامل الثلاث تضافرت فيما بينها في إثارة الكثير من القضايا العقدية كقضية الأسماء والصفات، وقضية القدر، وعصمة الأنبياء، ودلائل النبوة والإمامة، والحكم على مرتكب الكبيرة والتي كانت محور أبحاث علم الكلام ومؤلفاته.

بالإضافة إلى هذه العوامل الثلاث هنالك عامل رابع كان له أثر كبير في صياغة المنهج وطريقة معالجة تلك القضايا، ذلكم هو التراث اليوناني الذي ترجم ونقل إلى العربية، وكان له أثر كبير في الحركة الكلامية[١١].

هذه أهم عوامل نشأة علم الكلام وتطوره، بعضها داخلي، وبعضها الآخر خارجي، ولكن تأثير العوامل الخارجية في تطوير هذا العلم ومنهجه كانت أقوى من العوامل الداخلية، لأنها كانت وسائل غزو فكري حمل المتكلمين على الدفاع عن دينهم، وصد ذلك التيار المناوئ للحضارة الإسلامية، بيد أنهم في دفاعهم اخذوا بما ألقت به تيارات ذلك الغزو من مصطلحات ونظريات في الحياة الفكرية الإسلامية، ثم أولعوا بها فيما ألفوا في علم الكلام فابتعدوا عن أصالته، بل أصبح غريباً عربة كاملة عن الإسلام وطبيعته، فقد طغت عليه الدراسة الفلسفية الجدلية، وتخلى عن المنهج

القرآني في الحديث عن العقيدة. وانتهى به الأمر إلى عدم صلاحيته للعلماء وللعامة.[1]

المبحث الثاني

علم الكلام بين المؤيدين والمعارضين

كانت الغاية من وجود علم الكلام هي بيان الأصول الإيمانية للدين الإسلامي. والذود عن عقائد هذا الدين بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية، في مواجهة الهجمات العنيفة والحملات المسمومة التي شنها الأعداء والخصوم قصداً إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وإثارة البلبلة في نفوسهم[2].

تلك غاية علم الكلام، وهي غاية جليلة جديرة بالاعتبار. ولكنه حين استقام علماً، تعقد له الحلقات، وتتصارع فيه الآراء، وتدون فيه الكتب في الحواضر الإسلامية، نشأت فيه فرق ومذاهب تتفاوت قرباً وبعداً من جوهر العقيدة الإسلامية الصافي كما ورد في الكتاب والسنة، واستخدم علماؤه مناهج ليست دائماً على وفاق تام مع أصول النظر الإسلامي وأساليب الاستدلال القرآنية، وتطور الأمر بهذا العلم حتى وجدنا من يغلو من هذه الفرق إلى حد يكاد يخرجه من ملة الإسلام. ومن يسرف في تبني المناهج الدخيلة والآراء الغريبة حتى يخلط الكلام في العقيدة بفلسفات ذات أصول وثنية شرقية أو غربية[3].

ونتيجة لذلك فقد ظهر في هذا الحو من يتادي بهجر هذا العلم وعدم الاشتغال به. وكان على رأس هؤلاء أهل السلف والحديث. وفي المقابل نجد من يدافع عنه وينادي بالاشتغال به.

وفيما يلي أعرض آراء كل من المؤيدين والمعارضين لعلم الكلام، مع بيان الاعتراضات الموجهة إليه.

أولا: موقف المؤيدين:

من الطبيعي أن يكون علماء الكلام وهم الجبهة التي تناصر هذا العلم، وتستميت في الدفاع عنه، وتقف بحسم في وجه خصومه، ومن يطالع آراءهم في علم الكلام وطرقه في الاستدلال، ودوره في الدفاع عن العقيدة سوف يتبين له أنهم يرفعونه إلى منزلة يعلو فيها على سائر العلوم الشرعية.

يقول الإمام الفخر الرازي في مفاتيح الغيب: «إن علم الكلام أفضل المعارف الدينية، وأشرف العلوم الشرعية، لأنه يتعلق بأشرف المعلومات، وهي ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، كما أنه أساس غيره من العلوم الدينية ورأسها ورئيسها، فإنه ما لم يثبت وجود صانع مختار لم يثبت شيء منها كذلك فإن الحاجة إليه أشد، وبراهينه أقوى، كما أن ضد علم الأصول هو الكفر والبدعة، وهما من أحس الأشياء، فوجب أن يكون أشرف الأشياء»[4].

أما الإمام أبو حنيفة الذي صرف همته إلى مسائل الفقه دون مسائل الكلام، ودعا إلى عدم الاشتغال بعلم الكلام، فإنه قد أجاز لبعض أصحابه الاشتغال بعلم الكلام للرد على المبتدعة في عصره، ولقد كان الإمام نفسه يناظر في قضايا العقيدة حين يكون ذلك واجباً شرعياً، فأما ما نهى عنه أصحابه من الجدل، فهو الذي يرجو مفترقه أن يخطئ صاحبه لا لأن الحق معه، ولكن ليتحقق إخفاقه، ويحكم عليه بالكفر أو الفسق أو العصيان»[5].

كذلك فقد دعا العز بن عبد السلام إلى الاشتغال بعلم الكلام، إذ يقول: «زُعم أن المتكلمين في ذلك على باطل خطأ؛ لأنه منعٌ لأهل الحق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لأهل الحق أن ينكروا المنكر، ويردُّوا على أهل الباطل أقوالهم وبدعهم، فكيف يكون مخطئاً من أنكر المنكر ودعا

إلى المعروف. ولم يزل سلف الأمة ينكرون على أهل البدع. وينصتون إلى الحق في ذلك كما في مسائل القدر والإرجاء. وخلق القرآن ونفي الصفات وغير ذلك. ولو جاءنا واحد وقال أنا متحير في إثبات ذلك أو نفيه. فهل نقول له حينئذ : لا تسأل عن هذا. وأن سؤالك عنه بدعة. ونأمره أن يبقى على شكه وتردده في ذلك. ولا نبين له الحق من الباطل. والخطأ من الصواب : لأن الكلام في ذلك بدعة ؟ كلا. وهذا باب لو فتح لأضل أهل الإسلام. وارتفعت الأحكام. وكيف لا يكون ذلك من الدين وقد تكلمت فيه طوائف المسلمين»[٣].

ومما يدل على أهمية علم الكلام أن بعض من نهوا عن الاشتغال به. قد خاضوا فيه. وتكلموا في مسائله. وصنفوا في ذلك. وأشهر هؤلاء على سبيل المثال الإمام أبو حنيفة. فقد صنف في ذلك كتاب «الفقه الأكبر». وكتاب «العالم والمتعلم» الذين صرح فيهما بأكثر مباحث علم الكلام[٤].

إن الإطالة بحكاية أقوال المتكلمين في ذلك - وهي كثيرة - قد تخرجنا عن مقصودنا. لذلك نشير الى أهم العناصر التي تتشكلت منها رؤية المتكلمين لهذا الموضوع. وتتلخص في تأكيدهم على أن لعلم الكلام دور مهم تتعدد جوانبه على النحو التالي:

١- إثبات العقائد الإيمانية بأدلتها العقلية. وهو ما يؤدي إلى إزالة الشبهات التي قد توجه إليها. وتحقيق الإيمان الجازم بالله تعالى وصفاته ورسله.

٢- التمكّن من التمييز بين الحجة والشبهة. وبين السنة المأثورة والبدعة المحدثة.

٣- إرشاد المسترشد بإيضاح الحجة له. وإلزام المعاند بإقامة الحجة عليه. وفي ذلك نصرة للإسلام. وقيام بواجب الدعوة إليه.

٤- ضرورته لبناء ما عداه من العلوم الشرعية باعتباره أساساً لهذه العلوم كما عبر عن ذلك الرازي.

٥- ضرورة هذا العلم لتحقيق الفوز بسعادة الدارين[٥].

هذا هو موقف علماء الكلام من هذا العلم فما هو رأي خصومهم ؟ ذلك ما نحاول بيانه في السطور الآتية.

ثانيا : موقف المعارضين :

يُعدُّ علم الكلام من العلوم التي تعرضت لموجة حادة من المعارضة والرفض. وإذا كان أنصار علم الكلام يضعونه في مقدمة العلوم الإسلامية. وأنه العلم الذي وقف ضد التيارات المنحرفة والعقائد المحرفة. فإن المعارضين من فقهاء ومحدثين ومدارس فكرية أخرى أخذوا يوجهون إليه سهام النقد وينهون عن الخوض فيه والاشتغال به.

ويصور لنا العامري (أبو الحسن محمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٨١) هذه المعارضة بقوله: «ثم إن قوماً من حملة الآثار أقدموا على ثلب المتكلمين. وأولعوا بذم صناعة الكلام ونسبوا أربابهم إلى البدعة والضلالة»[٦].

فمن أقوال الإمام أبي حنيفة (١٥٠هـ) «لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام»[٧].

وقال محمد بن الحسن : «وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام».

وكان الإمام الشافعي من أشد الناس على علم الكلام وأهله. وقد نقل عنه في ذم الكلام الشيء الكثير من ذلك قوله : «حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ»[٨].

وقال أيضاً: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا

بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم العشائر والقبائل، وينادى بهم: «هذا جزاء من ترك السنة وأقبل على الكلام»[١٠].

وأما موقف الإمام أحمد من أهل الكلام فهو أشهر من أن يذكر من قوله: «أئمة الكلام زنادقة»[١١].

وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد عن أبيه أنه كتب: «لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله -ﷺ- أو عن صاحب، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[١٢].

أما موقف الإمام مالك فقد نقل عنه قوله: «الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر وما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، وأما الكلام في دين الله وفي الله فالسكوت أحب إلي، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[١٣].

ويقول الإمام الغزالي وهو بصدد حديثه عن تحرجه النفسية، ومعاناته الفكرية التي سجلها في كتابه «المنقذ من الضلال»: «نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه، وطالت المدة، تشوق المتكلمون الى مجاوزة الدب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها، ولكن لم يكن ذلك مقصود علمهم، حيث لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق»[١٤].

وهكذا يتهم الغزالي علماء الكلام منذ أكثر من تسعة قرون بأن منهجهم منهج جدلي وليس منهجاً فلسفياً نقدياً، ومن أجل ذلك فإن هذا المنهج لا يصل بالباحث إلى الحقيقة المعتبرة.

ويخلص الغزالي - بعد أن درس علم الكلام دراسة عميقة مستفيضة - إلى نتيجة مؤداها أن الضرر الذي يجلبه هذا العلم أكثر من النفع المرتقب، فيقول: «فالتخبط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف» الأمر الذي جعل علم الكلام غير قادر على التوصل إلى معارف حقيقية، ومن أجل ذلك أصبح يتكل عقبة في هذا الطريق، فلا يمكن للمرء أن يصل عن طريق منهج هذا العلم إلى معرفة الله معرفة حقيقية، وفي ذلك يقول: «فأما معرفة الله وصفاته وأفعاله... فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً ومانعاً عنه»[١٥].

وكثير من كبار المتكلمين رجعوا عن الكلام وتركوا وصايا لتلاميذهم يحذرونهم فيها من الخوض فيه وولوج بابه:

فمنهم الإمام أبو المعالي الجويني الذي كان يقول: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام، وكان يقول: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به»[١٦].

وستكلم آخر كان لا يجاري في علم الكلام والعلوم العقلية المختلفة هو الإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير المشهور الذي يدل على عقلية جبارة وذكاء حاد يصل هو الآخر إلى النتيجة نفسها التي يقررها في قوله: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم، لأنه يسعى إلى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع من التمعن في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن

العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية. وفي شعره في هذا المعنى قوله:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلال[٣].

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فعلم الكلام إذن وإن أدى مهمة سامية في عصر نشأته تحاوز بعد ذلك هذه المهمة وخاض فيما ليس وراءه عمل. وسلك نفس الدرب الذي قضت الظروف عليه أن يسلكه فعجز عن القيام برسالته، وتردى في أخطاء متنوعة أثارت عليه بعض العلماء قديماً وحديثاً. وتكاد هذه الأخطاء تنحصر فيما يلي:

أ- معلوم أن القرآن الكريم قد نهانا عن الخوض في القضايا الغيبية ووجه أنظارنا إلى عالم المادة، إلا أن المتكلمين غاصوا في الغيبيات التي ليست من اختصاص العقل، وأهملوا البحث والنظر في عالم الشهادة. فانحرفوا بذلك عن منهج القرآن الذي أعطى الأولوية لعالم المادة لكشف أسرارها وآياتها الدالة على وجود الله تعالى وعلى قدرته.

ب- حولوا العقيدة إلى قضايا ذهنية تجريدية لا أثر لها في السلوك. فانحرفوا بذلك بالعقيدة عن جانبها العملي الحركي الذي يجب أن تعطى له الأولوية.

ج- فلسفوا العقيدة وناقشوها مناقشة أكاديمية يصعب على الإنسان العامي فهمها. فعقدوا بذلك العقيدة، وكان الأولى بهم أن ينهجوا طريقة القرآن الكريم الذي يعرض العقيدة بأسلوب سهل ومبسط في متناول الجميع.

د- أكثروا من الخلافات التي تسببت في انشقاق الأمة إلى فرق وأحزاب عديدة أدخلتها في صراعات وحروب. وكان الأولى أن يركزوا على القضايا التي توحد الأمة وتجمع كلمتها.

هـ- قدس بعضهم العقل ورفع من شأنه بل وقدمه أحياناً على النص، بينما العقل لا يجوز أن يتقدم الشرع[٤].

و- تعصب المتكلمون لآرائهم تعصباً ممقوتاً إلى أن كفر بعضهم بعضاً. ولذلك كان جدالهم في أكثر الأحيان من أجل الغلبة والظهور لا من أجل نصرة الحقيقة. وكان للأهواء السياسية دورها في إذكاء نار الخلاف بين فرق المتكلمين. فقد كانت تنصر فرقة على أخرى، وتكره الناس أحياناً على الإيمان بآراء بعض الفرق دون بعضها الآخر. وقد انعكس كل هذا على ما كتب علماء الكلام فامتلأت مؤلفاتهم بأفكار فاسدة[٥].

ز- إن علم الكلام بسبب هذه الأخطاء أصبح نظرياً بحتاً. ينظم المقدمات ويستخلص النتائج كما تفعل ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا، والإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والمكر. بيد أن كتب الكلام في شرحها للعقيدة لا تخاطب القلب، وتقرر ما تقرره وكأنها معادلات جبرية قد ترضي العقل ولكنها لا تحرك الوجدان كما أن هذه الكتب من ناحية أخرى يسودها التوزع المضطرب بين متن وشرح للحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء، ناهيك بازدحامها باصطلاحات الفلاسفة. وطرائق تفكيرهم، حتى تاهت عناصر العقيدة وسط هذا الركام من الثقافة الوافدة[٦].

وأخلص مما سبق إلى أن كثيراً من علماء الأمة

رفضوا منهج علماء الكلام في استدلالهم، وبينوا عيوب هذا المنهج، وبينوا ما ترتب عليه من اثار ضارة بالإسلام. الأمر الذي يحمل السعي إلى تجديد علم الكلام ضرورة عصرية ملحة إذا أردنا لهذا العلم أن يؤدى كما ينبغي أن يكون متلائماً مع مشكلات هذا العصر وقضاياه، لكن كيف يكون التجديد ؟ ذلك ما نجيب عنه في السطور الآتية...

المبحث الثالث

مفهوم التجديد ومبرراته لعلم الكلام

جاء الإسلام ديناً كاملاً ليبدد ظلاماً من الجهل والتخلف، وبالتعبير القرآني جاء ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ سورة إبراهيم : آية ١. ظلمات حلت بالأمم والشعوب بعد عصور من الازدهار والتنوير صاحبت الأنبياء والحضارات المختلفة التي مرت على مدار عقود. ثم بادت بفعل الفساد والأهواء. وحل محلها انحطاط في الفكر البشري، وضلال في الفهم العقدي والشرعي حتى عبدت الحجارة واتخذت الأوثان أنداداً، والخرافات أحكاماً، والأهواء قوانين وسلطاناً. وهذه سنة من سنن الحياة لم تصمد أمامها حتى الديانات القديمة، لأنه قد وكل حفظها إلى البشر، فضاعت كما ضاعوا وضلت كما ضلوا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ سورة المائدة آية ٤٤. ولكن من رحمة الله الغامرة بالناس أن حفظ القرآن ولم يترك حفظه للبشر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر: آية ٩، ولهذا كان القرآن مرجعاً يلجأ إليه عند الانحراف فتعتدل المسيرة. ولكنه كلما غفا أهله وسها حاملوه جرت عليهم سنة من كان قبلهم، وصاحبهم ما صاحب غيرهم حتى يراجعوا دينهم وتعتدل مسيرتهم.

فعندما كانت الرسالة غضة طرية وأخذها المسلمون من خلال الوحي وفم النبوة كانت قوية آخاذة فعلت في التاريخ فعلها، وسارت في الأمم سيرتها العظيمة الباهرة. ثم ورث هذا من بعدهم قوم ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا، ويحسبون أن السنن ستحابيهم أو تغفل عنهم، وقد جرهم هذا الوهم الكاذب إلى عواقب وخيمة أوصلتهم إلى ضياع الفكر والفهم ومواكبة الأحداث.

من هنا أصبح الفكر الإسلامي في أزمة، وفي حاجة إلى الخروج من الانعزالية والتقوقع والانطواء حتى يؤدي دوره في الحياة. فالتجديد مطلوب والتبديل مرفوض.

والسؤال ما هو التجديد وما هي أدلته؟ وضوابطه وصفات المجدد؟.

هذا ما سوف نجيب عنه في السطور الآتية.

اولا : مفهوم التجديد :

الجِدُّ - بكسر الجيم - الاجتهاد في الأمر[٢٠].

والتجديد هو الاجتهاد في إبراز القديم في قالب جديد أو كشف ما فيه من خفاء.

وبالتالي يفهم من معناه في اللغة : وجود شيء معروف عند الناس، ولكنه بحكم ما مر عليه من زمن أصابه البلى والقدم، ولذلك احتاج إلى إعادة بناء وترميم، ولهذا فإن المعنى المنشود في التجديد أن يكون على صورة أفضل مما سبق[٢١].

هذا عن معناه في اللغة.

أما عن معناه اصطلاحاً، فلا يخرج عن معناه لغة فهو: الإحياء والبعث والإعادة والتغيير، كما في

قوله تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾ سورة ق: آية ١٥، وقوله - ﷺ - «جددوا إيمانكم» قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله»[٣].

وكذلك في بيانه -ﷺ- بأن التجديد لازم من لوازم الدين: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٤].

ولكن الإجماع على أن هذا الدين قد كمل، فكيف وهو الدين الكامل التام يقبل التجديد؟

يرى الدكتور عمارة أن المراد بالتجديد هنا هو: إزالة ما طرأ على الأصول والكليات والقسمات الأساسية مما يتعارض مع روحها ومقاصدها، الأمر الذي يكشف عن نقاء هذه الأصول ويعيدها بالعقلانية والاجتهاد كي تفعل فعلها في مستحدثات الأمور، وما وجد وما يستجد في واقع الحياة، ففيه عودة لحقيقة الذات، واستلهام لعوامل الثبات وقسماته، مع إضافات جديدة تعالج الجديد في إطار الأصول والثوابت، بحيث يتم للحضارة ذلك الاتساق الذي يجعل حاضرها الامتداد المتطور للقسمات الأصلية والثوابت الجوهرية في بنائهم القديم»[٥].

أدلة مشروعية التجديد:

أ. من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ سورة النساء: الآية ٨٣. «وأولي الأمر منهم، هم أهل العلم والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم، ووجه الدلالة من هذه الآية أن الله عطف أولي الأمر على الرسول -ﷺ- في وجوب الرد إليهم، ورتب على ذلك حكم الشرع بطريق الاستنباط.

ويقول الإمام الشوكاني معلقاً على قوله تعالى ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أي: يستخرجونه بتدبيرهم وصحة عقولهم»[٦].

٢- وقال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ سورة النحل، الآية:٤٣.

٣- وقال تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ سورة التوبة، الآية ١٢٢.

فلا يطلب من كل مسلم أن يكون فقيهاً من فقهاء الشريعة، فإذا لم يكن عالماً بها وجب عليه سؤال العلماء، وهم أهل الذكر وأصحاب الشأن الذين يقومون بهذا الواجب الكفائي عن الأمة الإسلامية.

ب - من السنة:

١- قال -ﷺ- «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٧].

«وإن التجديد المقصود هو تخليص الدين من الشوائب التي تلحقه وإعادته إلى أصالته»[٨].

٢- وقال -ﷺ- «لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله، لا يضرها من خالفها»[٩].

«والطائفة في هذا الحديث هم المجتهدون في الأحكام الشرعية، وأمر الله هو شرعه ودينه، فقد أخبر النبي -ﷺ- باستمرار الحق إلى قرب انتهاء الدنيا، وذلك لئلا تخلوا الأرض من قائم بالحجة».

٣- وقال -ﷺ- «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد»[١٠].

ففي كل جديد مستحدث حكم معين لله تعالى عليه أمارة، من وجدها أصاب، ومن فقدها أخطأ ولم يأثم».

فالتجديد هو التطور النافع، وهو سنة الحياة، وضمان استمرارها على نحو يمنع التخلف ويوفر النجاح، وكل جديد مستحدث ينبغي معرفة حكمه الشرعي، وموقف الإسلام منه بصورة واضحة بينة مدعمة بالدليل عن طريق أهل الذكر من العلماء المتخصصين.

قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ سورة النحل: الآية ٤٣.

ويجب على الأمة لكي تجدد أن تعمل على إيجاد عقلية واعية قادرة على التجديد في دائرة الحياة البشرية مع الوعي بثوابت إسلامها ومتغيراته، وسيحقق هذا الوعي قدرة على الاستثمار الصحيح لإيجابيات العصر الحاضر من خلال فرز راشد بين ما يسوغ للأمة أخذه، وما لا يسوغ لها أخذه، وتوظيف لما أخذ من الجهود البشرية في إطار ثقافتنا وهويتنا الخاصة، عبر هضم علمي لأساسيات تلك المعارف والمنشآت لا مجرد حشد واستهلاك».

وحينما نوجد هذه العقلية الواعية تكون عندئذ قادرة على معرفة دورها وقيمتها في الخريطة الحضارية للأمة، مما يجعلها تسهم في موقعها بصفتها لبنة في بناء النهوض الحضاري للأمة»[٢٠].

ومما ينبغي التنبيه له أن الإسلام كدين لا يعتريه التجديد والتطوير في ذاته بأي حال من الأحوال لارتباطه بنصوص لا تتغير، وإنما التطور يعتري فهم الناس لحقيقة الأحكام وغاياتها.

فالتجديد في الدين لا يعني إحداث تشريع لم ينزل به الوحي، أو تغيير حكم ثابت بدليل قطعي، وإنما يشمل ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وما خفي من العلوم الظاهرة والباطنة. فهو تجديد مطلق يشمل العلم والعمل معاً، وينسحب مفهومه على الكشف عن حكم الله في كل ما يجد من أحداث ويقع من نوازل ليس لها نص تشريعي مباشر أو صريح مهما اختلف الزمان وتنوع المكان[٢١].

ضوابط التجديد:

إن التجديد في الفكر الإسلامي - بشكل عام - يستلزم الضوابط التالية:

١- تصحيح العقيدة، بحيث تصبح عقيدة سليمة تشيع في الأمة بقوتها وعمقها ووضوحها وسماطتها وتكاملها، وتخالط بشاشتها القلوب، وتغني طهارتها العقول، وتهيمن على منطلقات الأفراد والجماعات، وتدين الأمة بها وتتفاعل معها وتفجر طاقات أبنائها في العطاء والإبداع والعمران.

٢- النظر المنصف الناقد المستفيد المتوازن في التراث الإنساني المعاصر، والحضارة الراهنة لمعرفة ما يقبل منها وما يرفض دون تبعية مطلقة أو رفض مطلق، بحيث تتميز إيجابيات هذه الحضارة عن سلبياتها، وخيرها عن شرها، ونافعها عن ضارها.

٣- حسن النظر في التراث الإسلامي الهائل، بحيث يتحقق الاعتزاز به والانتفاع منه، دون تقديسه أو المنع من مناقشة أي شيء فيه، فمصادر الإسلام شيء والتراث الإسلامي شيء آخر.

٤- العناية بتصحيح مناهج الفكر، وكليات الأمور والقواعد والضوابط الأساسية، بدلاً من

ملاحظة الجزئيات المتغيرة باستمرار، ذلك أن الجزئيات لا متناهية، بخلاف المناهج والكليات والقواعد. ومن هنا وجبت العناية بتصحيحها، والتركيز عليها لأنها تصحيح حركة العقل، وتضبط مسيرته، وتؤصل موازينه مما يجعل نتاطه في الاتجاه الصحيح، والسلوك فرع عن التصور، والإنكار دائماً هو المقدمة لكل شيء آخر.

٥- ربط هذه المناهج بالواقع الحياتي للأمة المسلمة، فهذا يساعدها على تلمس الحلول من ناحية، ويجعل لها عطاءات علمية من ناحية أخرى، فتنجو بذلك من أن تظل الحلول نظرية وتهويمات متخيلة.

٦- تحقيق تصور حضاري اسلامي يُمكّن من بناء أمة ومجتمع ودولة حديثة قوية متماسكة قاهرة معطاءة.

٧- تحويل ذلك كله «العقيدة والفكر والمعرفة والمنهجس إلى نسق ثقافي يمكن تقديمه لكل فصائل الأمة بشكل يحقق قناعتها بذلك وثقتها فيه، وتربيتها عليه»[٦].

صفات المجدد:

المجدد هو من يقوم بإحياء ما انطمس من معالم الدين، ودرس من جوانب الحق العلمية والعملية، ولما كانت مهمة التجديد واسعة الأرجاء متشعبة المسالك كان لابد من توافر صفات لابد وأن يتصف بها المجدد وأهم هذه الصفات:

١- أن تكون له القدرة على نقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم الصحيح لها.

٢- أن يؤمن بالحجة والبرهان منهجاً من مناهج البحث مع مقدرة عالية على استحضار الأدلة والبراهين على ما يقدمه من آراء.

٣- أن يكون ذا ملكة قوية تستطيع استنباط الحقائق والدقائق متميزاً بنظره الثاقب.

٤- أن يكون ذا ثقافة موسوعية، وعلى دراية بتاريخه وما حفل به من أحداث وانطوى عليه من مآثر، وأن يكون عارفاً بالطوائف والملل والنحل والمذاهب والأنظمة والأساليب الموجودة في عصره ليقوم بدوره على الوجه الصحيح.

٥- أن تكون جهوده الإصلاحية ذات تأثير في اتجاهات الفكر والعلم في حياة الناس، وأن يشهدوا له بالكفاءة.

٦- أن يكون جريئاً في قول الحق صلباً قوياً معروفاً بالصدق والأمانة متعففاً عما في أيدي الناس[٧].

دواعي التجديد في علم الكلام:

إن مشكلات علم الكلام القديم قد ظهرت في ظروف تاريخية تشبه تماماً واقعنا المعاصر من وجوه كثيرة، فتناولها العلماء الكبار فهماً وفقهاً ونقداً وتفنيداً فلماذا لم نطرح هذه المشكلات المعاصرة وغيرها ضمن برامجنا الدراسية ليتعرف الشباب على أصول هذه المشكلات ومصادرها وظروف البيئة الثقافية التي أفرزتها ولماذا وفدت إلينا؟ وما هي الأهداف والمقاصد التي يبتغيها الغرب من طرح هذه المشكلات على العالم الإسلامي؟.

إن قراءة سريعة لما يدور في أروقة الدرس الأكاديمي لعلم الكلام اليوم تكشف عن هوة سحيقة بين واقع المسلمين اليوم، وما يمج به من مشكلات دينية وثقافية وما يلقى على طلبة العلم من دروس دينية تتصل بعلم الكلام. هذا العلم الذي كان يمثل خط الدفاع الأول والحصن

الحصين ضد حملات التشكيك في الإسلام وعقائده، والذي أصبح الآن تراثاً ثقافياً يتعرف الطالب خلاله على آراء وأقوال وحجج الأقدمين التي واجهوا بها حملات التشكيك والتي اعترضت سبيل الدعوة في عصرهم. فيدرس الطالب أصول المعتزلة، من العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتفريعات هذه المسائل وسلسلة الحوارات المتبادلة بين أوائل المعتزلة والمتأخرين منهم وبينهم جميعاً، والأشاعرة. ثم بين أتباع المدرسة الأشعرية ومن شايعهم في الرأي. وأصبح مقياس المستوى العلمي للطالب مرتبطاً بمدى حفظه لآراء هذه المدرسة أو تلك، وكيفية إبطال هذه الحجة والانتصار لها، ونسج على منوال شيوخ المذاهب المعاصرين لنا في قاعات الدرس العلمي. فلم يهتم المعلم بفتح أبواب التفكير أمام طلبة العلم ليكتشفوا حلولاً لمشكلات عصرنا الراهنة، - وما أكثرها - وإنما عكفوا على التأليف والدرس والتمحيص لآراء القدماء، وأصبح ذلك هو مجال التنافس بين المشتغلين بعلم الكلام أساتذة وطلاباً على حدٍ سواء.

من هنا كانت الحاجة ملحة إلى تجديد هذا العلم، والدين يدعون إلى ذلك يذكرون أن دواعي هذا الأمر تكاد تكون موضع اتفاق بينهم مثل:

١- تململ العقل السليم من الواقع المتردي في العقيدة والسلوك لجماهير المسلمين، وحرص دعاة الإصلاح أن ينهضوا بالأمة، وأن يؤسسوا إصلاحهم على عودة لأصول الاعتقاد الصحيح كما فهمه السلف الصالح عن رسول الله -ﷺ- بياناً ومحاربة للبدع[١٤].

٢- ظروف اتصال الغرب بالشرق الإسلامي وما صحبه من تغيرات فكرية وسياسية واقتصادية، ولكل هذا تأثيره على الفكر الديني بعامة والعقدي بخاصة، لما يثيره سدنة الفكر العلماني من شبهات اقتضت أن يطور هذا العلم أداءه منهجاً وأسلوباً.

فكان ما أشار إليه الدكتور محمود قاسم حين ذكر أنه لما تمكن الغربيون من بلاد المسلمين كان للفكر الإسلامي وضع جديد. وأعطاه عامل التحدي الخارجي قوة مضافة. وبدأت الاستجابة لهذا التحدي تؤتي ثمارها المتنوعة في الفكر الحديث والمعاصر[١٥].

٣- ظهور نظريات عادية لبست ثوباً علمياً بشكل أو بآخر، وألقت بكثير من الشبهات حول مسائل عقدية في الإسلام. ونظراً لاتصال الشرق بالغرب كان لابد من تفنيد هذه الشبهات والرد عليها بلغة ومنهج جديدين كما حدث هذا في محاولات:

جمال الدين الافغاني في: «الرد على الدهريين» ومحمد عبده في: «الإسلام والنصرانية أمام العلم والمدنية» ومحمد إقبال في: «تجديد الفكر الديني» ومالك بن نبي في: «الظاهرة القرآنية» ووحيد الدين خان في: «الإسلام يتحدى»[١٦].

وكثير من هؤلاء صرحوا بالحاجة إلى علم جديد، فأصول علم الكلام وما جدّ في الساحة من طروف علمية واكتشافات يمكن استثمارها لصالح علم العقيدة ورسالته.

يتحدث إقبال عن الظروف الداعية إلى التجديد الديني فيقول: «ظل التفكير الديني في الإسلام راكداً خلال القرون الخمسة الأخيرة، وقد أتى على الفكر الأوربي زمن تلقى فيه وحي النهضة عن العالم الإسلامي. ومع هذا فإن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب، ولا غبار

على هذا المنزع. فإن الثقافة الأوروبية في جانبها العقلي ليس إلا ازدهاراً لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الإسلام. وكل الذي نخشاه أن المظهر الخارجي البراق للثقافة الأوروبية قد يشل تقدمنا فنعجز عن بلوغ كنهها وحقيقتها وكانت أوروبا خلال جميع القرون التي أصبنا فيها بجمود الحركة الفكرية دائبة في بحث المشكلات الكبرى التي عُني بها فلاسفة الإسلام وعلماؤه عناية عظمى في آسيا وأفريقيا. فلا عجب إذن أن تجد شباب المسلمين يتطلبون توجيهاً جديداً بعقيدتهم... أضف إلى هذا أنه لا سبيل إلى تجاهل الدعوة القائمة في أواسط آسيا صد الدين على وجه عام. وضد الاسلام على وجه خاص»[٢٠].

٤- وقد كان من دواعي التجديد طريقة التأليف في العلم تلك التي عرفت في الشروح والتلخيصات والمتون ونحوها، الأمر الذي قصى بدراسات جديدة في علم العقيدة يهتم بعضها بالتاريخ للعلم وبيان مناهج الاستدلال فيه، ليصل إلى الحاجة إلى علم كلام جديد له منهجه وأسلوبه. وبعض هذه الدراسات ألمح إلى ضرورة تجاوز نقاط الجدل التاريخي في قضايا لم تعد موضع اهتمام المسلم المعاصر. فضلاً عن أنها ليست من أصول الاعتقاد وفق منهج أهل السنة الذي ينبغي أن تعيد الأمة إليه.

وقد أجمل الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - هذه الدواعي للتجديد حيث ذكر سبب تأليفه لكتاب «عقيدة المسلم» فذكر :

أن ما وصل إليه علم الكلام أبعده عن حياة الناس بل وألجأهم إلى التصوف برغم ما فيه.

كما ذكر أن الجدل الذي دار بين الفرق قديماً أبعد العلم عن هدفه الحقيقي، بل إنه أدخل المسلمين في تشقيقات لا حاجة لهم بها.

ثم يقرر: أن العصر الحديث لم تعد كتب علم الكلام القديم تصلح له نظراً لوجود مذاهب مادية جديدة، وحوارات جديدة، وفهوم وعلوم جديدة.

ويرى أن الناس بحاجة إلى عقيدة واضحة ومقنعة وضوح وإقناع المنهج القرآني. ليعودوا مرة أخرى إلى إيمان لا تذهب حلاوته وتشقيقات من هنا وهناك[٢١].

٥- انفصال علم الكلام عن الواقع. فعلى الرغم من أننا نجد علم الكلام في فترات ازدهاره قد خاض في معارك طاحنة، أبلى فيها بلاء حسناً في مجال الدفاع عن العقيدة. إلا أنه في عصوره الأخيرة بات علماً جافاً، قدم فيها العقائد الإسلامية في صورة مثالية منقطعة الصلة عن الواقع الإسلامي المعاش، ففقد فعليته، وعجز عن القيام بدور إيجابي فعال في قيادة المسلمين في حياتهم العملية. فانفصل بفكره النظري عن واقع المسلمين العملي وهذا ما يلاحظه المطلع على تراث علم التوحيد المتأخر. فيدرك من الوهلة الأولى أن العقائد قدمت فيه كنظريات مجردة لا صلة لها بالواقع. ففقدت فاعليتها في توجيه الحياة الإسلامية لعياب تأثيرها النفسي والاجتماعي في حياة المسلمين الواقعية وصارت أفكارها لا ترسم للناس طريق الوصول إلى تحقيق أهدافهم العملية التي سقطت وغابت من حساب علماء التوحيد المتأخرين. ويبدوا أن أسبقية الفكر على الفعل هي سمة عامة في المجتمعات التراثية التي ما زالت تعتبر فكرها بديلاً عن واقعها. وماضيها ممتد فوق حاضرها، ومن هنا دأب بعض مفكريها على إعطاء الأولوية للنظر على العمل. والإيغال في البحوث النظرية بدعوى التأصيل المعرفي أولاً. ثم يطول البحث. وينقضي العمر. والمعرفة لم تكتمل بعد. فلا أصّل معرفته ولا هو أدرك واقعه، لذلك قال

الأصوليون القدماء إن كل مسألة نظرية لا ينتج منها أثر عملي يكون وضعها في العلم زائداً، ترفاً عقلياً[١٣].

وقد حاول علماء الكلام وغيرهم رد هذه المآخذ والدفاع عنها، ولكن تجدر الإشارة إلى أن «دفاع علماء الكلام عن أنفسهم لم يكن مقنعاً بدرجة كافية، وأن هؤلاء لا يستطيعون أن ينكروا ما وقع فيه بعض علماء الكلام من انقسام ترتبت عليه آثار ضارة كالتعصب والتقليد - تقليد شيوخ المذاهب والتكفير والجدل الكريه، وما أدى إليه من عدم كفاية هذا العلم سبيلاً إلى الإيمان واليقين، وهذه كلها أمور لا يجد علماء الكلام لها رداً مقنعاً أو إجابة يسهل قبولها»[١٤].

المبحث الرابع

منطلقات ومعالم التجديد لعلم الكلام المعاصر

لا شك أن العقيدة عموماً والعقيدة الإسلامية بصفة خاصة تواجه تحديات وتثار أمامها مشكلات تختلف في شكلها ومضمونها عن المشكلات التي واجهت القدامى. تقصر الأساليب الكلامية القديمة ومناهج من عرفوا بالسلفيين عن مواجهتها، كما أن القضايا التقليدية حلت محلها، أو زاحمتها قضايا جديدة تحتاج إلى معالجة وبيان، لذا لابد من تطوير منهج دارسة العقيدة بما يتلاءم وتحديات العصر وحاجات المسلم المعاصر وهذا يستلزم ما يلي:

١ - تجاوز جميع السلبيات التي سقط فيها علم الكلام في عصره القديم وأهمها أمران: أولهما: الانشغال عن مواجهة الخصوم الخارجيين بالخصومات الداخلية، التي أدت مع - الأسف - إلى تصدع جبهة علماء الكلام وضعف شوكتهم، وأتاحت الفرصة لأعداء الإسلام لممارسة أنشطتهم الهدامة. وثانيهما: استخدام المنهج الجدلي العقيم الذي كثيراً ما يؤدي إلى إثارة الشبه والشكوك دون أن يفضي إلى الإقناع واليقين»[١٥].

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك مسألة الصفات الإلهية التي اشتد النزاع حولها بين مدارس الفكر الإسلامي. لاسيما بين السلفيين والمتكلمين، ولازال هذا النزاع يحتل مكانة متقدمة في قضايا العقيدة، ومما هو معلوم أن النزاع حول هذه القضية في الماضي لم يثمر شيئا وكانت له آثار سلبية، انعكست على مسار الفكر الإسلامي ووحدة المجتمع. ولم يستطع جدال المعاصرين حول هذه المسألة أن يؤدي إلى نتيجة إيجابية، والسبب في ذلك أنهم جدوا في البحث عما لا يعلم، والسعي فيما لا يدرك، أو بمعنى آخر أعملوا العقل في غير ميدانه. فالذات الإلهية غيب، والإحاطة بها مستحيلة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ سورة طه الآية ١١٠

ولما كان العقل يستحيل عليه إدراك الذات الإلهية، فإنه يستحيل عليه كذلك إدراك حقيقة الصفات على سبيل الإحاطة والتكييف، لأن معرفة الصفات فرع عن معرفة الذات، وما دام الأمر كذلك فينبغي على علم الكلام الجديد أن يترك هذا التعامل المغلوط الذي تركه المتكلمون مع أسماء الله تعالى وصفاته، بغض النظر عن الأسباب التي كانت وراء هذا التعامل أو حملت عليه في التاريخ. ونؤكد بدلاً من ذلك على ضرورة إعادة صلتنا بالله تعالى وصفاته إلى وضعها الصحيح، والقائم على البحث عن علاقاتنا نحن المكلفين - في ساحة العمل والابتلاء - بهذه الأسماء والصفات، بدلاً من جدل المتكلمين العقيم الذي دار حول الطرف المقابل من هذه المعادلة. وهو علاقة

الذات بالصفات.. والذي لا نملك أداة البحث فيه لأنه من أمور عالم الغيب»[١٠].

وينتقل التركيز على دراسة الصفات الإلهية كمعان إلهية سامية من مهمات الكلام المعاصر، ليكون الإنسان منها أكبر نصيب في حدود طاقته. كصمات العلم واللطف والعدل.... الخ من صمات الكمال الإلهي. وفي نفس الوقت لابد من الوقوف طويلاً أمام الصفات الجلالية التي تبين قهر الحق سبحانه وسلطانه وعموم قدرته وجبروته.. وبهذا يمكن للمسلم أن يحيا - والحالة هذه - بين حالتي الرجاء فيه والخوف منه، فلا ييأس ويقنط ولا يتجبر ويطغى»[١١].

وجملة القول أن علم الكلام الجديد ينبغي أن يستبعد من موضوعاته كل ما أدخله المتكلمون في أصول الدين وليس منها، لاسيما إذا كانت هذه الموضوعات مما لا يستطيع العقل إدراكه، أو كانت مما لا تتوقف عليه صحة إيمان المسلم.

٢- عرض أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة من الكتاب والسنة بطريقة مباشرة دون الإيغال في إيراد آراء الفرق المتعددة. ويتأكد ذلك في الأوساط ذات الثقافة المحدودة. وهذا الاتجاه هو ما كان عليه سلف الأمة قبل ظهور الفرق.

وبناء على ذلك فإن أول مظهر من مظاهر التجديد في تحمل الأمة لعقيدتها هو: «أن تؤدب في هذا التحمل إلى المصدر النقي مصدراً وحيداً لمفهم العقيدة، بحيث تطلب حقائق العقيدة، وتضبط صورها بالرجوع إلى القرآن والحديث كمصدر وحيد. وأما أفهام السابقين من الفرق والعلماء والباحثين فإنها تصبح لا تعدو أن تكون وسيلة مساعدة على الفهم المباشر من القرآن والحديث، ويصبح الرجوع إليها مقتضى من مقتضيات التدين باعتبارها مصدراً للعقيدة. وحينئذٍ فإنها تكون مبسوطة على بساط الامتحان والنقد، فيؤخذ منها ويرد، ويتحرى منها ما هو أقرب إلى الحق بقطع النظر عن نسبته إلى الفرق والأشخاص»[١٢].

أضف إلى ذلك أن الاعتماد على الوحي المعصوم في فهم العقيدة سيفتح للأمة أبواب الفهم الصحيح للعقائد، ويخلصها من منحرفات الصور ومبتدعاتها، إذ العكوف على النص القرآني والحديثي عكوفاً متأنياً خالصاً من نزعات الهوى والعصبية، من شأنه أن يصبر بوجوه الحق في مدلولاته المفدية. وحينئذٍ تلتقي الأفهام على قدر مشترك من المعاني المستنزفة للطاقات، وتتوحد جهودها في محاولة النهضة. كما أن تصورها العقدي لحقيقة الوجود والإنسان والكون سيكون التصور الصحيح الدافع لتلك الجهود الموحدة في طريق الإنجاز»[١٣].

وقد رجع علماء السلف أدلة القرآن على أدلة المتكلمين، فها هو الرازي - وهو من أئمة المتكلمين يسجل في وصيته قوله: «لقد اختبرت الطرق الكلامية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها من القرآن العظيم». وبعد مقارنته بين أدلة المتكلمين وبراهين القرآن الكريم ينتهي إلى القول: «ولقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. بل إنه ليؤكد في كتابه الأربعين أن الكل أقر بأنه لا يمكن أن يراد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن»[١٤].

ونضيف هنا ما أكده ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد» إذ قال: «وإذا تأملت القرآن وتدبرته، واعرته فكراً واعياً، اطلعت فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة، وإبطال

الشبه الفاسدة، وذكر النقض، والفرق، والمعارضة، والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصّره الله، وأنعم عليه بفهم كتابه»[illegible].

إن المتكلمين لم يعرفوا كيف يفيدون من القرآن الفائدة الكاملة، ولو كانوا قد عكفوا عليه، واسترشدوا بمنهجه وبراهينه لوجدوا في ذلك غناء، ولرحموا عقول العامة والخاصة من تلك الأدلة التي أخذوا بها؛ لأنها غير منطقية، ولم تهبط إلى مستوى العامة، ولم ترتفع إلى مستوى الخاصة، وإنما لم تكن منطقية؛ لأن البرهان المنطقي هو الذي يفرض نفسه على العقول، في مختلف مستوياتها، والفارق بين أدنى المستويات وأعلاها هو أن العامة تسلم بالدليل المنطقي إجمالاً على حين تسلم به الخاصة من العلماء إجمالاً وتفصيلاً»[illegible].

ولابن الوزير اليماني كتاب بعنوان «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» وهو دال على مضمونه إذ عرض فيه للأدلة العقلية المستخلصة من الآيات الخاصة بإثبات الله -عز وجل- وصفاته، والنبوة والمعاد وغيرها من مسائل العقيدة التي خاض فيها علماء الكلام بالمنهج الممتزج بالفلسفة اليونانية.

وقد أفاض ابن الوزير بكتابه المشار إليه في إقامة الحجج على بطلان من يدعي قصور القرآن عن الوفاء بالأدلة على الربوبية والتوحيد والنبوات، مع التنبيه على قدر القرآن، وأنه في ذلك أجل نفعاً وخطراً وقدراً وأثراً من جميع تصانيف المتقدمين المتعمقين، وتدقيق المتكلمين.

ومن أقوال القاضي عبد الجبار المتكلم المعتزلي في ذكر إعجاز القرآن «واتفق فيه أيضاً استنباط الأدلة التي توافق العقول، وموافقته ما تضمنه لأحكام العقل على وجه يبهر ذوي العقول ويحيرهم، فإن الله - سبحانه - بينه على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاناة وجهد بألفاظ سهلة قليلة تحتوي على معان كثيرة، كما ذكر عز وجل في نقض مذاهب الطبيعيين في قوله تعالى: ﴿وفي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ﴾[illegible] سورة الرعد الآية: ٤.

وقال الإمام الغزالي في معرفة وجود الرب تعالى: وأولى ما يستضاء به من الأبواب ويسلك من طريق النظر والاعتبار ما أرشد إليه القرآن، فليس بعد بيان الله بيان، ثم ساق الآيات القرآنية.

ويعلق ابن الوزير اليماني في النهاية على ذلك بقوله وبالجملة، فتقصي كلام علماء الإسلام في مثل هذا يمل، والحاجة إلى الاحتجاج عليه من عود الدين غريباً من أدل دليل على عناد المخالف، وليس في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل».

٣- التأكيد على أثر الإيمان في حياة الإنسان: فقد تحولت دراسة العقيدة في الآونة الأخيرة إلى بحث نظري ينظم المقدمات ويستخلص النتائج، وأصبحت شروحها رياضة عقلية شبيهة بمعادلات الجبر، لا تحرك النفس ولا ينفعل بها الوجدان، وأصبحت الأدلة على وجود الله، وواجب الوجود تذكر من غير أن يستشعر من يذكرها عظمة الخالق، ويختلج في بدنه عرق من الرغبة أو الرهبة نحو من سواه»[illegible].

بدلاً من هذا الواقع المأزوم ينبغي أن تقدم العقيدة بطريقة ترقى بالفرد من الإسلام إلى درجة الإيمان ثم إلى ذرى الإحسان، بحيث يتحول الإيمان من مجرد معرفة باردة إلى قوة دافقة، توقظ جوانب الخير في الإنسان، وتفجر فيه المشاعر النبيلة، وتربي لدى الفرد ملكة المراقبة، وتكون دافعاً إلى طلب المعالي والبعد عن سفاسف الأمور.

«إن العلاقة بين الإيمان وبين صلاح الحياة تغدو شبيهة بأن تكون علاقة تلازم ترتبط الطرفين، بحيث يكون تحقق الملزوم وهو الإيمان مفضياً إلى تحقق اللازم، وهو صلاح الحياة. وذلك ما يوفر في سبيل الدعوة إلى الله منهجاً قاعلاً في النفوس. وهو ما يتمثل في الدخول إليها في سبيل التحقق بالله من بيان ما ينشأ عن ذلك التحقق الإيماني من سعادة في الحياة العملية، وذلك من باب الاستدلال باللازم على الملزوم، فيُبتغى الملزوم من طريق ابتغاء اللازم»[٣].

إن كل العلوم في الإسلام ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة لعبادة الله. وعلم الكلام هو ألصق علوم الإسلام، بغرس معاني الخشية في القلوب، وربط الإيمان بحياة الإنسان في كل مظاهرها، وذلك ما وصفه أحد المفكرين في تركيز بليغ حين قال: «المؤمن يستشعر بعض اتحاد مع سائر البشر، لأنهم رفقاؤه في الخلق والقدر والمصير، خلقهم الله من طينة واحدة، وأتاح لهم محال الحياة على نفس شرط الابتلاء، ثم يقومون يوم الحشر على موقف سواء، ويحس المؤمن بإخاء أوثق نحو المؤمنين لأنهم بعد رفاق البشر أجمعوا على إرادة الإيمان، فقصدهم كلهم لقاء الله، وهمتهم عبادته ونهجه وشريعته، ويجد المؤمن مناط تكليفه وقاعدة مسؤوليته في علاقاته بالمؤمنين، ويلقي في التعاون معهم سبباً للترقي بقدر عبادته، إذ يعالجون معاً مالا يتم إلا بالمشاركة، ويدركون مالا تيسر إلا باتحاد، وكيفما تقلب المؤمن في سيرته وعمله وافق سنة المؤمنين كافة لأنهم يهتدون شريعة واحدة تأمرهم بدات وجوه البر، وتنهاهم عن المنكرات، ويحتكمون إليها، فتفصل بينهم بالعدل المرضي»[٤].

هذه المضامين النفسية والاجتماعية لعقيدة التوحيد، تقوي من الذات الإنسانية فتنطلق انطلاقة حرة، مؤثرة في عالمها، تتفجر فيها الطاقات في مناخ التوحيد الذي يؤكد أنه ليس هنالك إلا قاهراً واحداً للكون، يدين له كل مخلوق بالعبودية، والإنسان في انطلاقه يستطيع الوصول إلى أعلى المراتب فلا حظر عليه إلا في مقامين لا يمكنه الرقي إليهما، وهما مقام الألوهية، ومقام النبوة، أما مراتب الكمال الأخرى، فهي بين يديه ينالها باستعداده، لا يحول بينها وبينه حجاب»[٥].

إن مهمة علم الكلام في العصر الحاضر - عصر الحيرة والقلق جد خطير - لأنها مهمة إنقاذ الإنسان من صراع المذاهب الإلحادية التي أنشبت أظفارها في كل اتجاه، ليحيا في ظل الإيمان ببارئه حياة مطمئنة إيجابية، ولتصبح كل تصرفاته خالصة لله رب العالمين ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ سورة الأنعام الآيات: ١٦٢-١٦٣

٤- نبذ التعصب والبعد عن المذهبية: ينبغي في دراسة العقيدة الإسلامية، وتقرير قضاياها، لا سيما في الجامعات والمعاهد العلمية والدراسات الأكاديمية، البعد عن العصبية المذهبية التي تقود إلى الفرقة وتتناقض مع النظرة الإسلامية الشمولية الموحدة.

إن التحاء الإنسان المسلم لفرقة بذاتها من فرق علم التوحيد، والتزامه بكل ما يصل عنها، سواء في ذلك ما أيده البرهان، أم ما أعوره البرهان، عصبية علمية شر من عصبية الجاهلية التي حاربها الإسلام، وأنكرها أيما إنكار، ذلك لأن للتعصب - بوجه عام - أخطاره، فهو يُضيِّع الحق، ولا يساعد على كشفه، ولا يعين على نصرته، فضلاً عن ذلك الجهد الذي يبذل في اللجاج والجدل مع

الخصوم، على عكس تعدد الآراء والأفكار فهي تدل على نضج فكري، ووعي ديني. لكن ما وقعت فيه الفرق من أخطاء أن كل فرقة لم تحاول فقط أن تقنع غيرها بما انتهت إليه من آراء فتشاركها في وجهة نظرها، وإنما غلا فريق منهم في إرغام الآخرين على قبول ما يرونه صحيحاً، وكانت وسيلة هذا الإرغام الاتهام بالكفر والزندقة والخروج من الفهم الصحيح للعقيدة، فتراشقت الفرق فيما بينها بسهام الكفر والزندقة، واشتد صراعها، فكانت كل فرقة ترى أنها - وحدها - على صواب وأنها وحدها الناجية، وغيرها محطئ كافر، هالك في النار، فساد منطق فرقة ناجية والباقي هالك، متخذين من حديث الفرقة الناجية - سنداً لهم - فيما انتهوا إليه»[١٠].

وانقسام الأمة في مذهبها العقدي إلى فرق وأحزاب - على هذا الشكل من التعصب - أضعفها؛ حيث أفقدها عناصر الأمة القوية، بسبب طغيان التبعية التي أدت إلى تعصب التابعين لمذهب ما، ومنحه السلطة العليا في التوجيه، والاعتقاد في كل رأي من آرائه، ليس عن قناعة تامة، وإنما عن تعصب وتقليد، فتحكمت هذه المذاهب فيهم، وسيطرت على تابعيها، بحيث يهاب هؤلاء والتابعون نقدها، أو إبداء الرأي في قيمتها، ومن هنا انقسمت الأمة الإسلامية، إلى كيانات وجماعات وطوائف، بينها فواصل تحول دون تحاوبها لتوجيه واحد، وغاية واحدة، وهدا كله أحدث فجوات كبيرة في التباعد العقدي للمجتمع الإسلامي»[١١].

ومما يبرز نبذ التعصب والتبعية المذهبية أن هذه الفرق جميعاً، ظهرت مرتبطة بظروف عصرها، وقد مضت هذه الظروف في ذمة التاريخ، وليس في الوقوف عندها ما يعيد دورة الزمن من جديد. وهذه الظروف نفسها اقتضت نوعاً من الاجتهاد في الكتاب والسنة، اجتهاداً كان موجهاً بعوامل كثيرة: سياسية وثقافية واجتماعية وقومية.... وإننا اليوم لسنا مطالبين بالوقوف عند اجتهاداتهم، والوقوع في أسرها، بل الأمر يقتضي تجاوز ذلك الاجتهاد، إلى اجتهاد يقتضيه العصر الذي نعيشه، والذي يرفض بشدة اجتهاداً قائماً على النظرة الإلحادية، وما يطرحه من تعصب ممقوت لمذهب بعينه، اجتهادنا اليوم مطالب بالانفتاح على سائر الآراء والمذاهب، نأخذ منها ما يتفق وأصولنا الاعتقادية معتمدين في ذلك على الكتاب والسنة، وتكون في الوقت نفسه متلائمة مع متطلبات العصر الذي نعيشه.

٥- أن يكون علم الكلام المعاصر عصرياً في قضاياه وموضوعاته، وفي أسلحته وطرق دفاعه وفي حواره ووسائل إقناعه، ذلك أن المهمة الأساسية التي يضطلع بها هذا العلم هي مهمة تقرير الحقائق الإيمانية وإقناع الآخرين بها ودفع الشبهات عنها، ولا شك أن العقل الإنساني متطور، وأن لكل عصر تعكيره وطابعه ومشكلاته»[١٢].

ومن ثم فإن العالم الإسلامي المعاصر يتطلع اليوم إلى ظهور متكلم عصري، يقوم بدور التجديد في علم الكلام، متكلم واع خبير ملم بثقافة العصر، ومدرك لطبيعة المرحلة التي نعيشها، متكلم مثقف يعرف عقلية أهل عصره، والقضايا التي تشغل بالهم، والمشكلات التي تثار حولهم، ويعرف من أين يدخل إلى عقولهم وقلوبهم، وكيف يقنع الأذكياء من الشباب والمتعلمين، ويفحم الأقوياء من الباحثين والمعترضين، ويعرف كيف يستخدم في حواره - مع هؤلاء وأولئك - المقدمات الصحيحة والأدلة العقلية، والبراهين المنطقية التي

تكشف المغالطات، وتدحض الشبهات، وتورث اليقين والإذعان، وتفتح القلوب للإيمان»[٥].

وعلى سبيل المثال: إذا كنا بإزاء إثبات وجود الله تعالى بالأدلة العقلية - لمن ينكر وجود الله تعالى - فإن طبيعة الأدلة تختلف عما كانت عليه عند قدامى المتكلمين. فقد بنى المتكلمون أدلتهم على نمط الاستدلال الفلسفي المنطقي. واستخدام الأقيسة العقلية. أما طبيعة الأدلة في عصرنا فهي تستند في جانب كبير منها على الواقع والتجربة والعلم. وهذا يوضح لنا أن الصبغة التي تميز علم الكلام المعاصر هي استجلاؤه حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الحديدة. والعقل الجديد كلمة يعني مدلولها مرادف لكلمة العقل العلمي أو العقلية العلمية، التي مهمتها الحقائق [٦].

يقول العلامة محمد فريد وجدي: «فرض الإسلام سنة التجديد في النظر للدين، فقد علم أن لكل زمان مناهج للفهم، ووجهات للتفكير، ومسلمات أو مرجحات خاصة. فإن لم تتحدد الفلسفة الدينية، وتطبق على الحاجات الجديدة بلسان أهل كل عصر، وتشتمل عناصر ثقافتهم جمدت حيث هي، وتركها الناس ومضوا مع العلم»[٧].

لا شك أن العطاء العلمي لعصرنا قد كشف لنا عن أسرار من الكون كان يجهلها الأقدمون. وهذا يفرض على عالم الكلام الجديد أن يتسلح بلغة هذا العلم الحديث، ويتدرب على منهجه، ويحسن توظيف أدواته في الإقناع والبرهنة بادئاً بما بدأ به القرآن وهو النظر في عالم الشهادة.

٦- مواجهة التحديات المعاصرة وأهمها الغزو الفكري الذي فطن أعداء الإسلام إلى فاعليته وقوة تأثيره ونجاحه في تحقيق الأهداف المرجوة دون مدن تخرب ولا حصون تدك ولا أرواح تزهق، كما أن الغزو الفكري كان له أثره في ظهور الفرق المتناحرة، والفلسفات المعارضة، والمعاول الهدامة التي تهدم القيم، وتدمر الآخر، وتزلزل العقائد. وها نحن نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ما يدبره أعداء الإسلام من مكائد في مختلف المناشط الحياتية. كما أصبح استعمار العقول سمة بارزة في حروب اليوم. ولا يستطيع منصف أن ينكر أن الحملات الشرسة لا تستهدف إلا العالم الإسلامي، ومحاربة الإسلام في كل ربوع بلاده.

وقد قامت الصهيونية العالمية باستغلال الشيوعية لهدم الدين وشعارهم في ذلك: نضرب عدواً بعدو لتكون السيادة لأبناء صهيون. وهم يستغلون البهائية والماسونية عن طريق التسلل إلى أندية الروتاري والليونز وغيرها من الجماعات للهيمنة على الشعوب.

وتأتي بعد ذلك المذاهب الفلسفية المنحرفة التي تخدع بعض أصحاب الثقافة السطحية بأساليبها البراقة ومنطقها العلمي الزائف مثل: الوجودية، والوضعية، وأتباع فرويد ودور كايم وغيرهم... وهناك من يتخذ الطعن في الحديث ورجاله وسيلة للهدم والتدمير وإثارة الشبهات حول العقيدة ومبادئ الشريعة والهجوم على التاريخ الإسلامي والتشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي. والهدف من ذلك كله إبراز الإسلام في صورة شوهاء لا يعرفها الإسلام، وتشكيك المسلمين في مصادر عقيدتهم ورمزتهم في دينهم.

من أجل هذا كله يتضح لنا أننا في حاجة ملحة إلى علم جديد للعقائد يتصدى لهذه الهجمات الشرسة مستخدماً كافة الأسلحة في ردعها ودحض شبهاتها بأسلوب علمي واضح قائم على الحجة والبرهان مع بيان زيف ما لدى الخصوم من عقيدة

وخلق ودين «وأن يستند إلى مخاطبة الحس والفكر والبديهة والبصيرة معاً، وأن يستعين - فيما يقدمه من دراسات - بكل ما يمكن أن يخدم فكرته وأهدافه من منجزات العلم وحقائق التاريخ ودراسات مقارنة الأديان. وأن يوجه عناية أكبر إلى دراسة مسائل العقيدة كما وردت في الكتاب والسنة، بحيث يستوحي فيها النص في بساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب التي فرضتها ظروف ثقافية وتاريخية انتهى عهدها وأصبحت في ذمة التاريخ»[١٠٠].

وبهذا تتلخص معالم التجديد لعلم الكلام فيما يلي:

١- التجديد في موضوعات العلم، وذلك باستبعاد كل ما أدخل عليه من مسائل عُدَّت من أصول الدين بعد الرسول ﷺ- وصحابته، وهي في الحقيقة ليست من هذه الأصول. وكذلك استبعاد المسائل التي لا مدخل للعقل في إدراكها، ثم إضافة الموضوعات التي استحدثتها ظروف العصر.

٢- التجديد في طرق الاستدلال، وذلك باعتماد العلم الحديث على أدلة القرآن التي أجمع الكل على أنها أدلة عقلية، برهانية، موصلة لليقين، متاسبة لجميع المقول، وخالية من التعقيد والغموض الذي اتسمت به الأدلة الكلامية ولا تثير من الشكوك والشبهات والإلزامات ما أثارته تلك الأدلة.

٣- الاستفادة من المنجزات التي توصل إليها العلم في نصرة الإسلام، والرد على خصومه. ولا شك أن العلاقة الوثيقة بين الإسلام والعلم تسهل لنا ذلك.

الخاتمة

نتائج وتوصيات

١- التجديد والتطوير سنة كونية، والتجديد العقدي فريضة وضرورة في كل عصر كشاهد على عالمية الإسلام.

٢- ليس المقصود بالتجديد هو مسايرة تغير أحوال الناس بتغير الزمان والمكان، وليس المقصود منه مسايرة النظم العصرية المختلفة، وإنما المقصود هو التحرك مع الزمن في حدود أصول مبادئ الشريعة الإسلامية. فليس التجديد إدخال شيء جديد على أصول الدين ليس منها، ولا تشمله نصوصه العامة، لأن ذلك عندئذ لا يسمى تجديداً بل تكميلاً لنقص في الدين، وإن الإسلام لا نقص في نصوصه وأصوله وقواعده، فالتجديد لا يتعارض مع اكتمال الدين الإسلامي وتمامه، بل يعطيه رونقه وصفاءه في تناول المسائل العقدية.

٣- ينهى الإسلام عن التقليد، ويذم المقلدين، فالجمود على القديم ضارٌّ في الدين.

٤- إن ضعف العقيدة هو علة العلل في تخلف المسلمين، وإن علاج هذا الضعف مهمة علم الكلام الجديد.

٥- إن فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فهماً سليماً وفق الأصول اللغوية والدلالة المعجمية لعصر النبوة هو البداية الصحيحة لعلم الكلام الجديد دون التأثر بمذهب ما أو الخضوع لاتجاه ما.

٦- إن علم الكلام الجديد ينبغي أن يعيش الواقع، ويدرس كل المشكلات التي تحيا بين الناس، وأن يهتم بالقضايا الأساسية، ويتخلى عن

المسائل الخلافية ويسهم في تقريب شقة الخلاف بين المذاهب والاتجاهات المختلفة.

٧- ينبغي الاستفادة من منهج التجديد لعلم الكلام من التقدم العلمي والتقني وكذلك السنن الكونية مع الأخذ بمبدأ أن تعرض بصورة سهلة بسيطة حتى يواكب حاجات الناس وفق أسلوب علمي معاصر.

٨- إننا أمة تختلف عن سائر الأمم من حيث إنها لا تستطيع أن تولي ظهرها لتراثها العلمي. ومن ثم كان علينا أن ننقب في هذا التراث. ونستهدي بما فيه من آراء لا تعبر عن ثقافة الزمان والمكان. علينا أن نستمد من أمجاد الماضي ما يدعم ويقوي انتفاضة الحاضر. ليضمن له مستقبلاً مزدهراً يمشي فيه مع الزمن. يلازمه في تطوره. ويصاحبه في توثبه. فلا تكون بينهما فرقة ولا تخلف.

٩- إن نظام تعليم علم الكلام الحالي في جامعاتنا في حاجة إلى إعادة نظر شكلاً ومضموناً. وتغيير المنهج تغيراً جذرياً. لكي يتوارى الصراع الفكري في غير ميدان. ولكي تسود المفاهيم الصحيحة للعقيدة الإسلامية.

١٠- على أهل الاختصاص تبسيط كتب العقيدة وصياغتها بأسلوب ميسر يلبي حاجة المسلم المعاصر إلى فهم أسس عقيدته ويحصنه من الشبهات الموجهة إليه ويصونه من الوقوع في براثن الغلو والتطرف وما يترتب على ذلك من إضرار بالمجتمع واستقراره. ومجافاة للروح الإسلامية السمحة القائمة على الوسطية والاعتدال.

١١- إن الدعوة إلى التجديد تظل كصرخة في واد ما لم تترجم ثماره إلى سلوك وتطبيق. فالتطبيق هو سبيل النمو للبحث لعلم الكلام وعودة الحياة والفاعلية إليه.

●●●

الحواشي

١. المواقف في علم الكلام - عضد الدين عبد الرحمن الإيجي - ص٧ - عالم الكتب بيروت.

٢. المقدمة - ابن خلدون - ج٣ - ص١٠٦٩ تحقيق علي عبد الواحد وافي البيان العربي - القاهرة - ط١-١٩٥٧م.

٣. احصاء العلوم الفارابي - ص١٦ تحقيق: عثمان أمين - ط١ - الانجلو المصرية ١٩٦٨م.

٤. رسالة التوحيد - الشيخ / محمد عبده - ص٤ - دار المعارف مصر.

٥. تاريخ الفكر العلمني في الإسلام - د/ محمد علي أبو ريان ص١٢

٦. ضحى الإسلام - أحمد أمين - ج٣ ص٩ - ط٧ - النهضة المصرية ١٩٦٤ -م.

٧. الملل والنحل الشهرستاني - ج١ ص٣٠ تحقيق: محمد سعيد كيلاني - مطبعة الحلبي ١٩٦٧م.

٨. علم الكلام وبعض مشكلاته - د/ أبو الوفا التفتازاني - ص٦ - ط١ - القاهرة ١٩٧٩م

٩. إعلام الوقعين - ابن القيم جـ١ ص ٧١ - راجعه وقدم له - طه عبد الرؤوف سعيد بيروت دار الجيل ١٩٧٣.

١٠. المرجع السابق ٤٩.

١١. مفتاح دار السعادة طاشر كبري زاده - جـ٢ ص ١٦٢ دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٩٨٥م.

١٢. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي - جـ٦ - ص٣٨١ - ٣٨١ - أبواب القدر - باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

١٣. كلمات في العقيدة الإسلامية د/ عبد الفتاح بركة - ص١٤ - ١٨ - بتصرف - مطبعة الحجر الجديدة ١٩٨٥م.

١٤. دراسات في العقيدة الإسلامية - د/ أحمد الحلبي - جـ١ - ص٦ - ط ٢٠٠٢ - جامعة الإمارات.

١٥. مقدمة في نقد مدارس علم الكلام - د/ محمود قاسم منشورة كمدخل لتحقيق كتاب مناهج الأدلة لابن رشد ص٩ - ط٣ - مكتبة الانجلو المصرية

١٦. مدخل نقدي لدراسة علم الكلام - محمد الأنور السنهوتي ص٣٢٣ - دار الثقافة العربية ١٩٩٠م.

١٧. المدخل الى دراسة علم الكلام حسن محمود الشافعي - ص٣٥ - مكتبة وهبة - ط٢- ١٩٩١م.

١٨. مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - جـ١ - ص٣٠٧ دار الغد العربي - القاهرة ١٩٩٢م

١٩. الفقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية الموقف والمناهج - د/ أبو اليزيد المعجمي ص٨٨ دار الصحوة ١٩٨٧ القاهرة.

٢٠. دلائل التوحيد - جمال الدين القاسمي - ص٧٢ - جمعية التأليف والنشر الأزهرية ١٣٤٦ -هـ.

٢١. مفتاح السعادة - طاش كبرى زاده - جـ٢ - ص١٦١ - حمير أناد الدائن ١٣٣٨م.

٢٢ المواقف في علم الكلام عضد الدين الإيجي - ص تحقيق أحمد المهدي - مكتبة الأزهر - القاهرة ١٩٧٦م

٢٣. الإعلام بمناقب الاسلام - تحقيق د/ أحمد عراب - ط دار الكتاب العربي - ١٩٦٧ ص١١٤.

٢٤. صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام - جلال الدين السيوطي - تحقيق سامي النشار - جـ١ - ص١٠٠ - دار الكتب الجامعية - بيروت

٢٥. شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - أبي القاسم هبة الله اللالكائي - تحقيق : أحمد سعد حمدان - جـ٣ - ص٦٣٦ دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٦ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ أبي نعيم الأصفهاني - جـ٩ - ص١١٦ دار الفكر - بيروت

٢٧ صوت المنطق - ص١٥٠

٢٨. مناقب الإمام أحمد بن حنبل - ابن الجوزي - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي - ص٢٥٤ - مكتبة الخانكي

٢٩ التمهيد لما في الموطأ والأسانيد - لابن عبد البر القرطبي تحقيق : مجموعة من الأساتذة - طبع وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب - ط٣ ١٩٨٣ -م - مجلد ١٩ ص٢٣٣.

٣٠. المنقذ من الضلال - ابو حامد الغزالي - تحقيق : د/ عبد الحليم محمود - ص٨٨ دار الكتب الحديثة.

٣١ إحياء علوم الدين - جـ١ ص١٦٨ - مكتبة التراث.

٣٢. سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن احمد الذهبي تحقيق مجموعة من الأساتذة - جـ١٨ - ص١٧٣ - مؤسسة الرسالة - ط٢ ١٩٨٢ -م.

٣٣. نهاية الإقدام في علم الكلام ص٣ (بدون تاريخ).

٣٤ فقه الأولويات دراسة في الضوابط محمد الوكيلي - ص١٧ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٧م.

٣٥. عقيدة المسلم - محمد الغزالي ص٩ ط دار البيان - الكويت.

٣٦. المرجع السابق ص١٣

٣٧. تاج العروس للزبيدي - مادة حد

٣٨. لسان العرب - لابن منظور - مادة جدد ٣/١١١، ١١٢.

٣٩ رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٥٩ برقم ٨٦٩٥.

٤٠ رواه أبو داود في سننه - كتاب الملاحم - باب ما يذكر في قرن المائة - ٤/ ٤٨٠ برقم ٤٣٩١.

٤١ الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين - محمد عمارة - ص١٠ دار الوحدة - بيروت ١٩٨٥.

٤٢ فتح القدير - للشوكاني - جـ١ - ص٤٩١ - دار المكر.

٤٣ حديث صحيح رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه- أبو داود والحاكم في مستدركه - والبيهقي - كما في التصير - جـ١ - الحديث رقم ١٨٤٥ - ص٣٨٢.

٤٤. وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية - محمد سلام مدكور - ص٢٧١ - بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن مسعود بالرياض سنة ١٩٨٤م

٤٥. حديث صحيح رواه ابن ماجة كما في الجامع الصغير - جـ٢ - الحديث رقم ٩٧٧٣ - ص٧٢٣.

٤٦. حديث صحيح رواه عن عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهما - أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة كما في الجامع الصغير جـ١ - الحديث رقم ٥٦٥ - ص٨٨

٤٧. الأسس الثقافية للتربية الإسلامية - عبد الرحمن بن زيد الزنيدي - ص٦٦٣ - بحث مقدم للملتقى الإسلامي الأول لدول أسيا المنعقد في كولومبو سيرلانكا ١٩٩٣م

٤٨. تجديد الدين في ضوء السنة - يوسف القرضاوي - ص١٣ - مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر - العدد الثاني.

٤٩. المسلمون والتبديل الحضاري - حيدر عبد الكريم الغدير -

ص٤٣ وانظر الفكر الإسلامي والنظام العالمي الجديد حسان عبد الله حسان - ص٦٧.

٥٠. منهج تجديد الفكر الإسلامي - د/ عبد الله عبد المحسن التركي - ص٣٦ - ضمن أعمال ندوة تجديد الفكر الإسلامي والتي نظمتها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية ١٩٩٨م.

٥١. المدخل إلى دراسة علم الكلام د/ حسن الشافعي ص ١٣٥ مكتبة وهبه ١٩٩١م

٥٢. الإسلام بين أمسه وغده -محمود قاسم- ص ٦١ مكتبة الانجلو المصرية

٥٣. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي محمد البهي - ص ١٢٠ مكتبة وهبة ط٢.

٥٤. تجديد الفكر الديني - محمد إقبال ترجمة عباس محمود العقاد ص ١٤ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٢ ١٩٦٧م

٥٥. عقيدة المسلم - محمد الغزالي - ص ١٥، دار الريان مصر، وانظر الحضارة الإسلامية وجه جديد د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي - ص١١٣ - ١١٧ - دار السلام ط٦ ٢٠٠٦م.

٥٦. مجلة اليوم السابع - حوار بين المشرق والمغرب - د/ حسن حمدي ص ٢٣، ١٩٩٠ نقلا عن إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام / محمد عبده محمد صالح محمد السيد ص ٢٢ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٧. مذكرات في علم الكلام - د/ عبد الحميد مدكور ص ٦٩ نقلاً عن العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة أبو اليزيد أبو زيد العجمي ١٣٠ دار السلام ط٦ ٢٠٠٧.

٥٨. مذكرات في علم التوحيد د/ عبد الحميد مدكور - ص٧٣ - (محاضرات لطلبة الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم في العام الجامعي ١٩٧٣ - ١٩٧٤م

٥٩. منهجية التعامل مع علوم الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة د/ عدنان محمد دزرور ص١١٣ - مجلة كلية الشريعة الإسلامية العدد الثاني عشر ١٩٩٤م جامعة قطر.

٦٠. العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر - د/ محمد عبد الستار نصار - ص١١٤٣ المؤتمر الثالث عشر - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر التجديد في الفكر الإسلامي- مايو ٢٠٠١م.

٦١ عوامل الشهود الحضاري - عبد المجيد النجار - ص١٠٥.

٦٢. المرجع السابق ص١٠٧.

٦٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - ص٩ - والأربعين في أصول الدين - ص٢٢١

٦٤ مناهج الجدل في القرآن د/ زاهر عواض الألمعي ص٩٥

٦٥ مقدمة في نقد مدارس علم الكلام - د/ محمود قاسم - منشورة كمدخل لتحقيق كتاب «مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد» - ص١٥ - مكتبة الأنجلو المصرية.

٦٦ وانظر ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان - لابن الوزير اليماني ص٩، ١٠، ١٧، ١٢٢ - دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٤ م.

٦٧ عقيدة المسلم - محمد الغزالي - ص٨ - ٩ - دار الكتب الحديثة ١٩٧٦م.

٦٨. الإيمان بالله وأثره في الحياة - عبد المجيد عمر النجار - ص١٦٥ دار الغرب الإسلامي ط١ ١٩٩٧م

٦٩ الإيمان وأثره في الحياة - حسن الترابي - ص٣٢٤ - دار القلم - الكويت - ط٢-١٩٧٩م.

٧٠ تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا - ج٢ ص٤٧٩ - مطبعة المنار القاهرة ١٣٢٤هـ.

٧١ إعادة بناء علم التوحيد عند الإمام محمد عبده - د/محمد صالح محمد السيد - ص٤٧ - دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨م

٧٢ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د/ محمد البهي ١٢٦ - مكتبة وهبة

٧٣ مدخل نقدي لدراسة علم الكلام - محمد الأنور السنهوتي - ص٢٥٧ - دار الثقافة العربية ١٩٩٠م

٧٤ رجال الفكر والدعوة في الإسلام - أبو الحسن الندوي - ص٢١٧ - دار القلم الكويت ط٥ - ١٩٧٧م

٧٥ قصية البحث الإسلامي وحيد الدين خان - ص١٠٣ - ترجمة محسن عثمان الندوي مراجعة د/ عبد الحليم عويس - ط١ - دار الصحة للنشر ١٩٨٤م، وانظر الفرق الكلامية الإسلامية - د/ علي عبد الفتاح المغربي ص١١١ - مكتبة وهبة.

٧٦ الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر - د/ يحيى هاشم حسن فرغل - ص٦ دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٠م.

٧٧. مدخل نقدي لدراسة علم الكلام - محمد الأنور السنهوتي - ص٢٦٧ دار الثقافة العربية ١٩٩٠م.

المصادر والمراجع:

١- إحصاء العلوم - الفارابي -تحقيق عثمان أمير - ط١ - الأنجلو المصرية ١٩٦٨م

٢ إحياء علوم الدين - جـ١ -مكتبة التراث.

٣ إعادة بناء علم التوحيد عند الإمام محمد عبده د/محمد صالح محمد السيد - دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

٤- إعلام الموقعين - ابن القيم جـ١ - راجعه وقدم له / طه عبد الرؤوف سعيد - بيروت دار الجيل -١٩٧٣.

٥ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - والأربعين في أصول الدين

٦- الأساس الثقافي للتربية الإسلامية - عبد الرحمن بن زيد الزيدي - بحث مقدم للملتقى الإسلامي الأول لدول آسيا المنعقد في كولومبو سيرلانكا ١٩٩٣م

٧- الإسلام بين أمسه وغده محمود قاسم- مكتبة الأنجلو المصرية.

٨ الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر - د/ يحيى هاشم حسن فرغل - دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٠م.

٩ الإعلام بمناقب الإسلام - تحقيق د/ أحمد غراب - ط دار الكتاب العربي -١٩٦٧.

١٠ الإمام محمد عبده محدد الدنيا بتجديد الدين - محمد عمارة - دار الوحدة - بيروت ١٩٨٥.

١١- الإيمان بالله وأثره في الحياة - عبد المجيد عمر النجار - دار الغرب الإسلامي ط١ - ١٩٩٧م.

١٢- الإيمان وأثره في الحياة - حسن الشرابي - دار القلم الكويت - ط٣- ١٩٧٩م.

١٣- التمهيد لما في الموطأ والأسانيد - لابن عبد البر الغرطبي تحقيق : مجموعة من الأساتذة - طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب- ط٣ -١٩٨٣م -مجلد ١٩.

١٤ العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر - د/ محمد عبد الستار نصار - المؤتمر الثالث عشر - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر -التجديد في الفكر الإسلامي مايو٢٠٠٢م.

١٥ الفرق الكلامية الإسلامية - د/ علي عبد المنعم المغربي - مكتبة وهبة.

١٦- الفقهاء وبحوث العقيدة الاسلامية الموقف والمناهج - د/أبو اليزيد العجمي - دار الصحوة ١٩٨٧ القاهرة.

١٧- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - محمد البهي - مكتبة وهبة ط٣.

١٨- الفكر الإسلامي والنظام العالمي الجديد - حسان عبد الله حسان.

١٩- المدخل إلى دراسة علم الكلام - حسن محمود الشافعي - مكتبة وهبة- ط٣ ١٩٩١ -م

٢٠- المسلمون والبديل الحضاري - حيدر عبد الكريم العدير.

٢١- المقدمة - ابن خلدون - ج٣ - ص١٠٦٩ تحقيق علي عبد الواحد وافي البيان العربي - القاهرة - ط١- ١٩٥٧م.

٢٢- الملل والنحل الشهرستاني - جـ١ - تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة الحلبي ١٩٦٧م.

٢٣- المنقذ من الضلال أبوحامد الغزالي - تحقيق د/عبد الحليم محمود دار الكتب الحديثة.

٢٤- المواقف في علم الكلام - عضد الدين الايجي - تحقيق: أحمد المهدي مكتبة الأزهر - القاهرة ١٩٧٦م.

٢٥- المواقف في علم الكلام - عضد الدين عبد الرحمن الإيجي - عالم الكتب بيروت.

٢٦- تاج العروس للزبيدي - مادة جديدة.

٢٧- تاريخ الأستاذ الإمام - محمد رشيد رضا - جـ٣ مطبعة المنار القاهرة ١٣٢٤هـ

٢٨- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام - د/ محمد علي أبو ريان

٢٩- تجديد الدين في ضوء السنة - يوسف القرضاوي - مجلة مركز بحوث السنة والسيرة - بجامعة قطر العدد الثاني.

٣٠- تجديد الفكر الديني - محمد إقبال ترجمة عباس محمود العقاد - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٣ ١٩٦٧م.

٣١- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي - جـ٦ - ٢٨١ - أبواب القدر - باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٢- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان - لابن الوزير اليماني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٤م.

٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ ابي نعيم الاصبهاني جـ٥ - دار الفكر - بيروت.

٣٤- دراسات في العقيدة الإسلامية - د/ أحمد الجلي - جـ١ - ط ٢٠٠٢ - جامعة الامارات

٣٥- دلائل التوحيد - جمال الدين القاسمي جمعية التأليف والنشر الأزهرية ١٣٤٦هـ

٣٦- رجال الفكر والدعوة في الإسلام - أبو الحسن الندوي - دار القلم الكويت ط٥ - ١٩٧٧م.

٣٧- رسالة التوحيد الشيخ / محمد عبده دار المعارف - مصر.

٣٨ سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن احمد الذهبي - تحقيق . مجموعة من الأساتذة - حـ١٨ - مؤسسة الرسالة ط٢ ١٩٨٣م.

٣٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - أبي القاسم هبة الله اللالكائي- تحقيق أحمد سعد حمدان جـ٣ دار طيبة للنشر والتوزيع.

٤٠ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام جلال الدين السيوطي - تحقيق سامي النشار جـ١ -دار الكتب الحامعية - بيروت.

٤١ ضحى الإسلام - احمد امين - حـ٣ - ط٧ - النهضة المصرية - ١٩٦٤م.

٤٢- عقيدة المسلم محمد الغزالي - دار الريان مصر.

وانظر الحضارة الاسلامية وجه جديد د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي - دار السلام ط١ ٢٠٠٦م

٤٣- العقيدة الاسلامية عند الفقهاء الأربعة -أبو اليزيد ابو زيد العجمي ١٣٠ دار السلام ط١ ٢٠٠٧م.

٤٣- علم الكلام وبعض مشكلاته - د/ ابو الوفا التفتازاني ط١ - القاهرة ١٩٧٩م

٤٤- عوامل التهود الحضاري - عبد المجيد النجار.

٤٥- فتح القدير للشوكاني - حـ١ - دار الفكر.

٤٦- فقه الأولويات دراسة في الضوابط -محمد الوكيلي - المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٧م.

٤٧- قضية البحث الاسلامي وحيد الدين خان - ترجمة محسن عثمان الندوي مراجعة د/ محمد الحليم عويس - ط١ - دار الصحوة للنشر ١٩٨٤م

٤٨- كلمات في العقيدة الإسلامية د/ عبد الفتاح بركة - مطبعة العجر الجديدة ١٩٨٥م.

٤٩- لسان العرب - لابن منظور - مادة جديدة- ٣/١١١، ١١٢.

٥٠- مجلة اليوم السابع - حوار بين المشرق والمغرب - د/حسن حنفي- ١٩٩٠ نقلا عن إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام / محمد عبده محمد صالح محمد السيد - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٥١ مدخل نقدي لدراسة علم الكلام -محمد الأنور المنهوتي -دار الثقافة العربية ١٩٩٠م.

٥٢- مذكرات في علم التوحيد - د/ عبد الحميد مدكور - (محاضرات لطلبة الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم في العام الجامعي ١٩٧٣ ١٩٧٤ -م

٥٤ مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - جـ١ - دار الغد العربي - القاهرة ١٩٩٣م.

٥٥- مفتاح دار السعادة طاش كبرى زاده - جـ٥ - دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٩٨٥م.

٥٦- مقدمة في نقد مدارس علم الكلام - د/ محمود قاسم - منشورة كمدخل لتحقيق كتاب مناهج الأدلة لابن رشد - ط٣ - مكتبة الأنجلو المصرية.

٥٧ مقدمة في نقد مدارس علم الكلام - د/ محمود قاسم - منشورة كمدخل لتحقيق كتاب -مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد - مكتبة الأنجلو المصرية.

٥٨ مناقب الإمام أحمد بن حنبل - ابن الجوزي تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي - مكتبة الخانجي.

٥٩- منهج تجديد الفكر الإسلامي - د/ عبد الله عبد المحسن التركي - ضمن أعمال ندوة تجديد الفكر الإسلامي والتي نظمتها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود لدراسات الإسلام - ١٩٩٨ م.

٦١- منهجية التعامل مع علوم الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة - د/ عدنان محمد وزرور - مجلة كلية الشريعة الإسلامية - العدد الثاني عشر ١٩٩٤م جامعة قطر

٦٢- وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية - محمد سلام مدكور - بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن مسعود بالرياض سنة ١٩٨٤م.